صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

كانون الاول
١٩٥٩
العدد السابع
السنة الثانية

ليت للمجلس عينا

المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب له عينان عين ساهرة وعين لما تستيقظ بعد ٠
عين ترعى الفنون والآداب وتعمل جاهدة لتكريم الأدب والادباء واحياء مادرس من فنوننا وما نحن فيه بادئون تقيم المهرجانات وتعقد المؤتمرات وتقدم المساعدات سخية فياضة وتفتح الاعتمادات وتطبع الدواوين كل ذلك لفئة معدودة من ادبائنا لاعتقادها – أو هكذا أوحي اليها – أن هؤلاء الادباء لاينازعهم في أدبهم منازع وقد عقم الدهر بعدهم فلم يتمخض عن أديب غيرهم ٠

وعين – نقولها والألم يحز في نفوسنا – لما ينكشف لها الحجاب بعد عن شعراء وأدباء قبعوا في بيوتهم بعيدين عن دمشق وانديتها لا زهدا في الأدب والشعر فهم أهله وذووه، ولا بعدا عن خدمة امتهم في المجالات الفنية والأدبية ،فلهم من ماضيهم وحاضرهم ما يشفع لهم بالخلود ، وانما لاسباب يعلمها الله والمقربون اليهم ٠٠٠٠٠

أيها المسؤولون في المجلس الاعلى ! سلوا ادباءنا الذين تربعوا على مراكزهم الادبية ألم يخطر ببال أحدهم اسم حامد حسن أو نديم محمد أو غيرهما من ادبائنا وشعرائنا الشباب اولئك الذين ما مرت فترة من فترات الظلم والطغيان من عهودنا المظلمة الا وكانوا صوت البلاد الداوي بشعرهم ومقالاتهم وقصصهم ؟

لن نعمد الى تقديم أدبهم فسادة الادب في بلادنا أدرى به وبهم ٠ ولكننا ننتظر ممن اوتوا الحظ والحظوة في المجلس أن يذكروا اخوانهم فهم جديرون بالوقوف الى جانبهم ٠

أيها المسؤولون في المجلس الاعلى ! شهد الله ما مررنا بعهد شعرنا فيه بكرامة الادب والادباء ولا مرت سانحة جعلت بارقات الامل تشع في عيني كل أديب كهذه الفترة التي نحياها اليوم ٠ وانا لنتطلع اليكم لا بضراعة وتوسل – فذلك شيء ما تعودناه – وانما بأمل أكبر لكشف الحجاب عن هؤلاء الادباء الكبار ٠

شهد الله ما انتقدتك الا ... طمعا أن أراك فوق انتقادي
وكفى المرء رفعة أن يعادى ... في ميادين مجده ويعادي

مدحة

الانسان والمعرفة

بقلم عدنان الدروبي [1]

ان موضوعنا اليوم لا يحيط به باحث ولا تفي ببعض حقه المجلدات وان تعددت . فيتحتم علينا والحالة هذه أن نلم ببعض النواحي فقط متجاوزين عن العديد من الامور . وهذا كما تعلمون عمل « كيفي » ويتنافى مع الدقة العلمية ولكن لا مندوحة لنا عن اللجوء اليه لضيق الوقت أولا ولعجز أي كان عن الاحاطة به احاطة تامة ثانيا .

ما هو الانسان ؟ هل هو هذا المخلوق المفكر الباحث عن الحقيقة والذي درج علماء « علم الانسان » أن يسموه « الانسان العاقل » ؟

أم هو هذا المنتج للثروات المستهلك لها « الانسان الاقتصادي » الذي تبحث أموره وشجونه علوم الاجتماع والاقتصاد ؟

هل هو هذا الذي يرتفع أحيانا لمستوى القديسين ويسف أحيانا أخرى لمستوى القتلة والسفاحين .

انه كل ذلك في وقت واحد . لذلك استعصت دراسته على كل باحث وأبت طبيعته الاصلية أن تستبين أمام كل مفكر وعالم .

انه كل لا يتجزأ . والعلوم بطبيعتها وطرق بحثها لا تطيق الاحاطة الا بالاجزاء والاقسام . ولكننا اذا جزأناه اختفى ولم يعد انسانا بل جثة يتناولها مبضع المشرح أو أنسجة يدرسها عالم الانسجة أو موائع ومعادن يسبر أسرارها المحلل .

فاذا جمعت هذه المعلومات ثانية وحاولت أن تبني منها انسانا من جديد توصلت الى صورة شوهاء بتراء لا تمت الى الاصل الا بنسب بعيد ولا تعطي للناظر الا تمثالا فارغا ألم بالمظهر وغاب عنه الجوهر .

والانسان هو المخلوق الوحيد على أرضنا هذه الذي يدرس نفسه ويحاول جاهدا أن يسبر أغوارها . وقد اقام للعلم صروح ومخابر ومكتبات تضم الالوف المؤلفة من الاسفار العلمية هي في الحقيقة عنوان مجده وعظمته .

نظر للكون حوله نظرة ملؤها الدهشة والاكبار فأعمل فكره جاهدا في سبيل فهمه وتفسير ظواهره وربطها بقوانين ثابتة .

وتعاقبت العصور ومعلوماته تتجمع وتتطور بفضل عدد من العباقرة يلمون من وقت لآخر ببعض الحقائق ويكتشفون من حين لحين بعض القوانين الأزلية الثابتة فيربطون بينها ويتوصلون لبعض الحقائق العلمية .

والواقع ان طلب المعرفة والعمل على التوصل الى كنه المكنونات هو الميزة الكبرى للانسان . فطرة ركبت فيه فهو دائما لها طائع وعلى نهجها سائر .

ولنبدأ بلمحة سريعة عن سير موكب الحضارة منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا . من الحضارة الفرعونية الى فلسفة « برجون » في القرن العشرين . اطمئنوا فلن نطيل الشرح وسنطوي العصور بسرعة .

ان صلة المصريين الأوائل مع الطبيعة كانت صلة استطلاع ومحاولات للوصول الى المعرفة . وهذه آثارهم يدهش لروعتها علماء الهندسة والرياضيات . فأن النسب الدقيقة الرائعة التي تتصف بها الآثار الفرعونية تدل قطعا على رقي بعلوم الرياضيات بلغ شأوا بعيدا رائع النتائج . وأما قدرتهم الفائقة في التحنيط فهو دليل آخر على تضلعهم بالعلوم البيولوجية والكيماوية تضلعا مدهشا . ولكن معالم هذه الحضارة الرائعة قد ضاع منها الكثير ولا شك ان الغزاة الاجانب مثل الهكسوس (ملوك الرعاة) وغيرهم عندهم الخبر اليقين عن التخريب وعن ايقاف هذه النهضة العلمية الرائعة . وتحويلها نحو

---

[1] محاضرة القيت في المركز الثقافي العربي بحمص

الانحطاط والتمسك بالشكليات • هذه الشكليات التي كانت دائما عنوانا لتدهور الامم وموت حضارتها • ذلك ان الروح اذا ما هجر الهيكل على حد تعبير التوراة لم يترك وراءه الا الاحجار الصماء والمظاهر المادية الفارغة •

ثم جاء اليونان واغترفوا من معين مصر ما اغترفوا وتدرجوا بالمعرفة من باراميند و هيرقل الى سقراط وارسطو وافلاطون•

انه من السهل علينا ان ننقد اليوم نظرياتهم الفلسفية وندل على عدم كفايتها • ولكن الاجمل بنا ان ننظر اليهم بعين المحبة والاعجاب لا بعين النقد والتجريح • وكأني باصوات ابائنا الاول ينادي من اعماق العصور الضائعة وراء غيوم الماضي ، يهيب بنا نحن ابناءهم على لسان كارليل : « ان هذا رأينا في الدنيا • هذا كل ما استطعنا ان نصور به لأنفسنا سر هذه الحياة وهذا الكون • فلا تحتقروا رأينا ومبلغ جهدنا • واجعلوا بدل احتقاركم لنا شكرا لله الذي رفعكم فوقنا درجات فأصبحتم بحمده اكثر منا اشراقا على كونه وأصح رؤية • ولكن لا تحسبن انكم بلغتم القمة فان رأيكم وان فضل رأينا فأنه لا يزال جزئيا ناقصا ، والأمر اعظم من أن تناله مدارك انسان لا أثناء الزمان ولا خارج الزمان » •

ان عصر اليونان الذهبي مالبث أن تهاوى تحت اقدام الرومان الغزاة ووقف موكب الحضارة مرة أخرى فريسة للقوة المادية الجامحة •

واغترف الرومان مااغترفوا من معين اليونان • وتحرك ركب الحضارة من جديد في طريقه الصاعد الصعب ثم وقف من جديد يئن من ضربات البرابرة التوتون الذين هاجموا الرومان بدورهم •

وهنا كان نجم الحضارة العربية قد بزغ فتناول المشعل اليتيم وتلقفه وقد كاد ان يخبو نوره وطلع على الدنيا اكرم شعب يحفظ لها تراثها الحضاري حفظ من عرف للفكر قيمته وللعلم قداسته •

سيداتي سادتي :

يحق لنا ان نرفع الرأس زهوا وفخرا • فاننا من أمة بلغت الحضارة بفضلها قمة لا يطمع بتجاوزها طامع • هذه القمة هي التسامح الذي اشتهر به العرب والحرية الكبيرة التي اتصفت بها حضارتهم • فنقلوا فلسفة اليونان وعلومهم وترجموها وحفظوها ولولا سماحتهم واحترامهم العميق الجذور للمعرفة لضاعت معالم الحضارة اليونانية ولتغير وجه التاريخ •

ثم حاق بعد ذلك بالعرب ما حاق بمن قبلهم واقبلت البربرية العمياء تدمر وتقتل وتحرق الكتب وتقوض صروح العلم • ووقفت الحضارة مرة أخرى أمام قوى الشر تئن تحت ضربات تيمورلنك وهولاكو •

وجائت بعد ذلك عصور الانحطاط وهيمنت على الدنيا دياجير الظلام • الى ان قامت النهضة الفكرية في عصور البعث وانتقل مشعل الحضارة الى اوروبا • وها أن العرب يتهيئون من جديد لأخذ مكانهم العريق والمساهمة في بناء الحضارة الدائم •

هنا لا أرى مندوحة عن الاشارة للحركة العلمية الحديثة التي أخذت شكلا عديم المثال ، يتقدم العلم خلالها بقفزات رائعة تفوق الخيال ، نتيجة للدراسة والمساهمة الفعالية التي تقوم بها الدول العظمى باعطاء الاولية المطلقة لشؤون العلم والفكر • ولا أرى بدا من القول ان العالم العربي لا يزال في عزلة شديدة فكريا وثقافيا ولا يقلل من ألم هذه الحقيقة بعض الجهود الفردية المتفرقة فان العصر لم يعد يكتفي بالجهد الفردي •

ان على الدول العربية ولا سيما البترولية منها واجب لا يمكن تجاهله • هذا الواجب اشير الى خطوطه الكبرى تاركا معالجته بصورة كاملة للاخصائيين :

١ ـ يتحتم علينا انشاء مؤسسة كبرى لشؤون الفكر تتولى نقل الآثار الثقافية من مختلف اللغات الى اللغة العربية •

٢ ـ انشاء مؤسسةعلمية كبرىشبيهة بمؤسسة روكفلر باستور في فرنسا ، يوضع تحت تصرفها مئات الملايين من الدولارات ويجند لها العلماء الحقيقيون في كل فن وعلم •

سيداتي سادتي :

لقد وصل العلم الآن الى مفترق الطرق • فالعلم بوضعه الحاضر يتصف اساسيا بالصفة التحليلية وأدت جهود العلماء المختصين في كل انحاء العالم الى كميات تحول بطبيعةالحال دون الاستفادة الصحيحة منها •

وقد اشار لهذه المعضلة الكبرى الاستاذ الكسيس كاريل

ان العلم الآن بحاجة لعلماء لهم القدرة على جمع هذه المعلومات المتفرقة وبناء نظرية جديدة متطورة للمعرفة • ان العالم ينتظر الآن هذا العقل الجبار • ومن يدري لعل الشرق يخبىء بين جوانحه هذا الانسان العظيم •

علينا نحن العرب ان نساهم بالحركة العلمية العالية •

ان الطريق امامنا مفتوح ولكنه غير معبد • انه طريق شاق عسير ، انه الطريق الخلاق الصاعد الذي لا يطيق السير فيه الا أصحاب العزيمة الصادقة والجد الصارم • ولعل الاقدار تسمح للعرب ان يعودوا من جديد ويقدموا للدنيا المبهورة الانفاس هذه الهدية العظمى : هدية البحث التركيبي الجمعي ، فان طبيعة الفكر العربي السمحة تؤهله للقيام بهذا العبء وسيكون ذلك مفخرة الاجيال الكبرى •

هذه نظرة سريعة ألقيناها على أجمل موكب شهدته الحياة • موكب الانسانية تتغلب على نفسها وعلى آلامها • انها من تراب ولكن الروح الالهية التي تتولاها بالرعاية والحنان سارت بها على مدى العصور بموكب جبار ومؤثر يرعاه خالق الكون ويهديه : « قل انظروا في خلق السموات والارض » •

من تراب الارض ارتفع الروح يتطلع الى ملكوت السموات بعيون تمتلىء احيانا بالدموع ويهتز اعجابا امام الجمال •

ولكن هذه النشوة العلمية يجب أن لا تتعدى الحدود وتقودنا الى تأليه العلم كما يرغب الماديون •

لقد أتى على الانسان حين من الدهر ظن انه في سبيل الكشف عن الحقائق النهائية • واجتاحته نشوة غامرة من الزهو والخيلاء • ونادى بعض الفلاسفة المادية واعتنق أكثرهم النظريات الدروانية واللاماركسية •

ولكن ما عتمت النشوة ان زالت والسكرة ان اضمحلت واكتشف العلماء الحقيقيون انهم لا يعرفون شيئا أو يكادون تشعبت الطرق وتشابكت السبل • وما كان حقيقة ثابتة البارحة اذ به اليوم يتهاوى امام معول النقد والدراسة العميقة •

نظرية «داروين» بالتطور لم يبق منها الا اسمها وتفسيرات « لامارك » و « دوفرى » لم تثبت أمام النقد العلمي • وأمام كل سؤال أساسي كان جواب العلماء : «لانعرف» فالمعلومات التي لدينا جميعها تقريبية تقترب من الحقيقة ولكن لا تحيط بها •

أمام هذا السؤال الحائر : ماهذا الكون وأين ومتى ابتدأ وما الحياة وما مصدرها ، وما الانسان وما مصيره ؟ كان جواب العلم الدائم ، بعد أن سبر وفكر وغاص واستكبر « لا نعلم » •

انتهى الامر بالعلم ان يعترف بعجزه عن اعطاء الجواب وهو باصراره على محاولة النفوذ الى كنه الغيبيات اشبه بالنحلة التي تصر على النفوذ من لوح الزجاج : تدور وتدور وتواصل الدوران دون كلل او ملل • ودون الحديقة الزاخرة بالحياة حاجبا ماديا صلبا ولكنه كأنه غير موجود بالنسبة لعينيها او عيونها على الاصح ، وادراكها المحدود أو المفقود •

عجز العقل وعي الذكاء وتاه التفكير فأين الحل •

هنا ينتهي دور العلم • والحق ان العلم لم يوجد لكي يعطينا مفتاح السر ولكن لجعلنا نلمس هذا السر ويدلنا على اتجاهه • على حد تعبير ستاسين

لمحة عن المادة :

فالمادة • ما هي المادة ؟ ذرات تتشكل منها جواهر لا يتجاوز عددها (٩٢) فقط تشترك في تكوين ارضنا الصغيرة وأهمها الشمس الاقل صغرا • ولكن الشموس والعوالم التي تبعد عنا مئات ملايين السنين النورية تدين لنفس الجواهر بوجودها بل هي ابتدأت بجوهر فرد هو ذرة « الهيدروجين » •

« والهيدروجين » « مولد الماء » لغة • ماهو؟ هو ذرة على ابسط ماتكون الذرات : بروتون واحد يدور حوله الكترون واحد • والواقع ان هناك نوعين من البروتونات نوع خفيف وآخر ثقيل نسبيا فالاول اعطى الهيدروجين العادي والثاني الهيدروجين الثقيل : وماء أرضنا تبعا لذلك يتشكل من مزيج بنسبة ثابتة من ماء خفيف هو ماؤنا العادي وماء ثقيل ظهرت اهميته حديثا في علوم الذرة وتفجير القنابل النووية •

والآن ماهو البروتون وما هو الالكترون : هما في نهاية الامر شحنات كهربائية تحتوي على طاقة هائلة بدأنا ندرك الآن قسما من عظمتها ويتولانا البهر من عجبها العجائب هي كلمة قالها مبدع الاكوان فكانت •

ثم تفرعت عن ذرة الهيدروجين هذه الذرات الاخرى

متدرجة بعدد الالترونات فتشكلت سلسلة انتظم في عقدها (٩٢) جوهر هي الجواهر الكيماوية التي كشفها العلم ولم يجد غيرها ولن يجد كما تنبأ بذلك العالم « مفدليف » هنا تظهر لنا بوضوح وحدة الكون ووحدة اجزائه ونواميسه وقرابتها الساطعة : وحدة واحدة (اذا جاز لي هذا التعبير) من صنع واحد أحد .

وأمام الليل المظلم المدلهم يقف العقل الانساني عاجزا مرتجفا يهتز اعجابا وعجبا واشفاقا أمام الاسرار الهائلة المائلة امام بصره وبصيرته :

يرى ولا يرى يسمع ولا يسمع . يرى المظهر ويعمى عن الجوهر . ويسمع الخليقة تنادي « لبيك » ولا يسمع الأمر : ان « كوني » فتكون فهل قدر للانسان أن يذوب حسرة أمام المجهول ، ويرتعد اشفاقا أمام المصير ؟.

هنا اذن الرحيم العظيم وتعطف الكريم الحليم فأوحى لبعض عباده الممتازين بالحقيقة الكبرى التي تتضاءل أمامها الاكوان وتشرق لجمالها الانوار : « ان الهكم واحد » خلق الكون بكلمة واحدة اذ قال : كن فكان

ان عظمة الانسان الحقيقية ليست بعلومه واختراعاته واكتشافاته . فقد رأينا انه كلما رفع حجابا وجد وراءه حجابا اشد اباء للنظر ان يمتد وللفكر ان ينطلق . ان عظمته الحقيقية هي باكتشافه الحقيقة الكبرى وهي اننا « فقراء لله » . هذا الفقر وهذه الحاجة التي عبر عنها النبي داود في أحد مزاميره كما جاء في التوراة :

من الاعماق نضج ونجأر بالنداء يا الله .

من أعماق الجهل والظلام والحاجة نناديك يا الله !.

هذا النداء الذي ردده جميع البشر أو يكادون ، رددوه بمختلف اللغات واللهجات ، منهم من نادى ومنهم من ناجى ، لو أتيح لأذن بشر ان تسمعه على مدى العصور لسمعت أمرا عجبا يتضاءل أمامه هدير الامواج ويذل بالنسبة اليه هزيم الرعد . هذا الصوت الجبار ، ولا املك أن اسميه الا بكلمة صوت فأني لا أجد غيرها ، هذا الصوت الذي لا يكاد خيالنا يطيق تصوره ما اكبر منه ؟ يجيب على هذا السؤال الألوف من المؤذنين كل يوم : الله أكبر .

هذا النداء لم يبق بدون جواب . جاء جواب الكريم ، جواب من اشرقت لنور وجهه الظلمات وصلح به أمرالدنيا والآخرة . جواب الواحد الأحد :

واذا سألك عبادي عني فاني قريب ، اجيب دعوةالداعي اذا دعاني . فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون .

عدنان الدروبي

ت. س اليوت ....

والشعر الانكليزي الحديث

ان أية دراسة لشعر ت.س. اليوت لا يمكن أن تكون كاملة الا اذا بدأت بعرض للشعر الانكليزي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لأننا عندئذ فقط نستطيع أن نعين مكان اليوت في تطور ذلك الشعر ونتيجة لذلك نستطيع أن نجد تعليلا للمكانة السامية التي يحتلها، منذ ثلاثين سنة أو أكثر، في عالم الشعر الانكليزي خاصة والأوروبي عامة.

حين بدأ اليوت الكتابة، خلال الحرب العالمية الاولى، كان الشعر الانكليزي يعتمد على مثاليات طورها في الاصل الشعراء الرومانتيكيون أمثال «وردزورث»، «شيلي»، «كيتس» و «كولريدج» في بداية القرن التاسع عشر وزاد في رسوخها، معتمدين على النجاح الكبير الذي لاقاه هؤلاء، شعراء العصر الفيكتوري «كتيسون»، «براوننغ» و «سوينبرن»، والى حد ما «هاوزمان»، «بريدجز» و «موريس» الذين لم يتخلوا عن تلك المثاليات التي كانت تقوم على ماسماه اليوت «خلق عالم من الاحلام». عالم من الاحلام لا يمت للعالم الحقيقي بأية صلة. ولخلق مثل هذا العالم كان لابد للشاعر من أن يستعمل لغة وكلمات خاصة تساعد على خلق الجو المناسب فنجده يكثر من وصف الازهار والندى والفجر والطيور والمناظر الطبيعية ومن التحدث عن الحب والجمال والروعة ويكثر بالاضافة الى كل هذا من الكلمات الغريبة أو القديمة التي تضفي «سموا» على العقيدة. بل ان الشاعر قد لا يجد الكلمة التي يريد في اللغة فيلجأ الى اللهجات المختلفة باحثا عن الكلمة التي تعبر عن الشيء أو الفكرة التي يريد نقلها الى القارىء وفي «وردزورث» نجد خير مثال. ان نتيجة مثل هذا الاتجاه في الشعر، الذي بدأ كرد فعل ضد شعر «درايدن» و «بوب» والى حد ما كرد فعل ضد العالم المادي والصناعي كان لابد للشاعر من العيش فيه وبين انتاج الشاعر الشعري المعاصر، كان في الانفصال الكامل بين العالم المادي المحسوس الذي أصبح يمثل ابتعادا بل هروبا من العالم الحقيقي ان يتس (١٨٦٥ - ١٩٣٩) نفسه، الذي بدأ شاعرا يعتمد على مثل هذه المثاليات، عبر عنها جيدا حين كتب: «كنت أعتقد في نفسي بأن الاشياء الجميلة وحدها هي ماكان يجب أن يصور، وأن لاشيء سوى الاشياء العريقة في القدم، ومواضيع الاحلام يتمتع بالجمال». لكن يتس في سنواته الاخيرة يختلف عن يتس الشاب بل هو عندئذ مدرك لعقم أي شعر يقوم على تجاهل للعالم المادي وللغة العالم المادي وأبنائه، ولذلك نجده يكتب عن الجمال مرة ثانية ولكن بلهجة تختلف اختلافا كليا عن لهجته في المرة السابقة! «ان الجمال، كقوس مشدود، شيء غير طبيعي في عالم كعالمنا هذا». ثم اننا نراه ساخطا على لغة الشعر التقليدية التي «فصلت خياله عن الحياة». ولم يكن يتس أول من حاول، في القرن التاسع عشر، أن يسد ذلك الفراغ بين العالمين، وأن يستمد مادة ولغة شعره من الحياة اليومية العادية ولا أول من تظهر في شعره أشياء ماكانت تعتبر جزءا من لغة ومادة الشعر التقليدية. ان «أرنولد» (١٨٢٢ - ١٨٨٨) و «هوبكنز» (١٨٤٤ - ١٨٨٩) - الذي ألح على ضرورة استعمال لغة التخاطب، دون النزول الى مستوى العامية، في الشعر - سبقا يتس في بعض هذه الانفلاتات من التقاليد الشعرية المعاصرة ولكن محاولاتهما ومحاولات يتس لم تبلغ من القوة والنجاح ما يمكنها من فتح طريق جديدة ليسير فيها الشعر الانكليزي الحديث وان كان يمكن اعتبارها اشارات تشير في اتجاه مثل هذه الطريق. ان اتجاها جديدا للشعر الانكليزي كان ضرورة ماسة لابد منها اذا أراد ذلك الشعر أن يقف على قدميه ويحتل مكانة

مرموقة في عالم الأدب الغزلي • وكان لابد من أن ينمو الشعر الانكليزي عندئذ منمى الواقعية وأن يقترب من العالم المادي الحقيقي وخاصة حين نذكر بأن الوضع الاجتماعي في القرن السادس عشر مثلا فرض ظهور نوع من الأدب متميز عن سواه كان تعبيرا أدبيا عن أوضاع اجتماعية كانت سائدة حينئذ ـ وأعني هنا أدب الشحاذين والرعاع في اسبانيا وانكلترا خاصة ـ على الرغم من أن كتاب ذلك القرن كانوا يتجاهلون ذلك الواقع الاجتماعي ويؤلفون قصصا طويلة عن قصة حب ذلك الراعي مع تلك الراعية أو عن بطولة فارس وجمال أميرة أو غانية •

ان عام ١٩١٧ ليؤلف بدء المرحلة الجديدة المرتقبة وبداية ثورة شاملة على التقاليد الشعرية السالفة • اذ أنه في هذه السنة تظهر قصيدة ت•س• اليوت « أغنية حب ج• ألفرد بروفروك » لتتبعها في سنة ١٩٢٢ قصيدة « الارض الخراب » التي يظهر فيها بصورة واضحة ذلك الانفصال الكامل عن مثاليات العصر الفيكتوري الذي نلمسه منذ السطر الاول حيث نجد أن اليوت يصف نيسان « بأشد الاشهر قسوة » • وما هو الا شهر الربيع الذي طالما تغنى سابقو اليوت به ووصفوا جماله • أما الارض • الارض الطيبة الخيرة فهي بالنسبة لاليوت ميتة وعقيمة وهي انما تعبر عن عقم حالة الانسان الروحية • وهذا العقم انما يظهر في شعر اليوت تحت اسماء مختلفة وصور عديدة فهو تارة صخر أو رمال • قذارة أو دخان أو قبح أو بغاء وتارة موت أو نصف موت • ان العالم بالنسبة لاليوت قد فقد قيمه ومثالياته وبذلك فهو غير خصب ، وهو يعبر عن هذه الفكرة باستعماله صورا مستمدة من طقوس الخصب البدائية وهنا يجب أن لاننسى بأن العقيدة نفسها تستمد اسمها من كتاب طقوس الخصب كما يخبرنا اليوت في ملاحظاته الملحقة بالقصيدة •

ولكن لماذا هذا الاشمئزاز من حالة الانسان ومن حياته الذي يظهر في كل سطر من شعر اليوت تقريبا وخاصة في « الارض الخراب » • وهل من تبرير له ؟؟• ان العصر الذي بدأ اليوت فيه الكتابة كان عصر انتقال وتغير ، كان لابد فيه من مثاليات كثيرة أن تختفي • ثم انه كان عصر حرب كانت أول حرب افناء تستعمل فيها اسلحة حديثة تفتك بالآلاف • تلك الحرب كانت سببا في خيبة أمل الكثيرين من الأدباء والكتاب • بل انها كانت سببا في ظهور عدد من الشعراء منهم « ساسون » ، « أوين » و « روبرت بروك » ، صدمتهم وحشية الحرب وفظاعتها وفتحت أعينهم مع حقيقة القتال فكان أن كتبوا قصائد كثيرة يتكلمون فيها ، ليس عن البطولة والشرف والتضحية بل عن الموت ، أو كما قال « أوين » عن « الشفقة » الذي يجب أن يتحدث عنها كل من يتحدث عن الحرب • وفي الربع الاول من القرن العشرين نجد أن التغيرات التي تطرأ على الكيان الاجتماعي فتجزئه بالاضافة للازمات الاقتصادية وفقدان الايمان الروحي والديني في تلك الحقبة جعل الكثيرين من الشعراء يتكلمون بلهجة من فقد الامل ، ولذلك نجد أن شعر تلك الفترة وحتى الحرب العالمية الثانية يتميز باليأس والتشاؤم ، وكل هذا يصوره لنا اليوت في قصيدتين بالغتين في الاهمية هما : « أغنية حب ج • ألفرد بردفرول » و « جرونتيون » وفي كلتيهما نجد رجلا يتحدث عن نفسه • عن خيبة أمله • عن يأسه • عن تردده وخوفه وعن قلقه وعدم استقراره • واليوت انما يقدم لقارئه « بروفرول » و « جرونتيون » كنموذجين للفرد المعاصر ومشاعره •

« أغنية حب ج • ألفرد بروفرول » تصور تصورات ومشاعر فرد يتميز بفقدان الثقة بالنفس • بالقلق والخوف في طريقه لرؤية صديقته • ولكن هذا لايعني أن القصيدة تتبع نسقا منطقيا في الافكار والصور ، ولا أنها تنتقل من فكرة الى أخرى بشكل منهجي بل هي كالارض الخراب و « جرونيتون » تجمع عددا من الصور والافكار لا ارتباط شديد واضح بينها ولكن أهميتها تكمن فيما توحيه للقارىء من تداعيات وايحاءات كثيرة تكون معاصورة لحياة بروفرول ان المساء لايوحي لبروفرول بالهدوء او السكينة بل انه حين يصف المساء لا يصف نجومه او جماله بل يشبهه ، وقد غطى السماء ، « بمريض قد خدر على طاولة » ينتظر مبضع الطبيب • وهو لا يرى في طريقه الا شوارع مهجورة • فنادق رخيصة ومطاعم قذرة • ولكنه يصمم على أن يقوم بزيارته :

« وفي الغرفة تغدو النساء وترحن
تتحدثن من ميخائيل أنجلو » •

حين نصل الى هذا البيت بعد توقف يستدعيه سياق القصيدة نلاحظ تغيرا في اللهجة يجعلنا نتساءل عن السبب والغرض من ادخال ميخائيل أنجلو هنا • والواقع أنه لدينا هنا مثالا للطريقة التي يقدم فيها اليوت لقارئه صورا عن أشياء تتصل بأرفع مظاهر الحضارة الفنية أو الأدبية سواء في عصر النهضة أو سواه ليقابلها أو يصفها الى جانب صورة لفندق رخيص • حانة حقيرة أو شوارع قذرة • وهذه طريقة استعملها « هنري جيمس » في « صورة سيدة » مثلا و « توماس مان » في « موت في البندقية » حيث يعبران كلاهما عن تدهور الانسان بل عن كيف أن تراث الانسان الغني والأدبي يصبح بضاعة تباع وتشرى وهي نفس الفكرة التي يريد اليوت نقلها الى قارئه هنا عبر ذكره لميخائيل أنجلو •

ويتابع اليوت وصفه للمساء وللضباب الذي يخيم على كل شيء • هنا أيضا نجد لماذا يعتبر شعر اليوت انقلابا كاملا على التقاليد السالفة فهو يصف الضباب والدخان - اللذين لايتصفان بأي جمال - ويصف الهباب الاسود الذي يعرفه كل من يعرف مدينة صناعيه في أوروبا الغربية • وهو في كل هذا يؤكد حريته في اللجوء الى أي مصدر ليستقي منه صوره الشعرية دونما تميز بين ماهو « شعري » وما هو « غير شعري » وهو في هذا أيضا حديث في حساسيته، مخلص للعصر الذي يعيش فيه • وصف المساء وصف لبروفروك وخوفه وانعدام ثقته بنفسه :

ولا بد من أنه سيكون هنالك وقت

لأتساءل • أأجرؤ ؟ أو أجرؤ ؟

ووقت لأنفلت عائدا ، ولأنزل السلم مسرعا

وبين شعري ، في النصف ، نقطة جرداء

(وسيقولون : « أوليس شعره في نقصان ! »)

(وسيقولون : « كم هي هزيلة ذراعاه ورجلاه »)

أو أجرؤ ••••

ثم يحدثنا بروفروك عن روتين حياته ، فهو قد عرف الاسباب كلها ، بل هو قد « قاس حياته بملاعق القهوة » وهو يدل بذلك على فراغ حياته،عن روتينها وانعدام معناها• ثم انه يتابع تساؤله وحيرته وهو في كل ذلك يكشف لنا عن رغبته في شيء آخر أفضل وجديد ولكن القارىء مع هذا يلمس في شعور بروفروك نوعا من خيبةالأمل ويجد أن خوفه وضعف ثقته بنفسه وتردد • تستمر حتى النهاية :

وماذا اذا فرقت شعري الى الوراء ؟

أو أجرؤ على أكل ثمرة دراق •

سأرتدي سروال صوف أبيض وأمشي على الشاطىء •

ولكنه يشعر أيضا بنوع من اليأس والخوف فمتى جنيات البحر تغني لبعضها أما له هو فلا أحد يغني :

ولقد سمعت جنيات البحر تغني • بعضها لبعض

أما لي أنا فما أظنها ستغني •

بالنسبة لاليوت مايهم ليست هي مشاعر الشاعر نفسها بل القالب أو النموذج الذي يضعها فيه ولذلك ففي نظره يجب على الشاعر والفنان بصورة عامة ، حين يريد التعبير عن مشاعره ، أن يبحث عن مجموعة من الاشياء او المواقف أو الحوادث ليحملها خواطره ومشاعره • وفي «جرونتيون» أفضل مثال • فهو هنا ينجح في جعل جرونتيون العجوز يتحدث عن أحد آراء اليوت الهامة : عقم الحياة دون أي ايمان • وهو هنا يلجأ مرة ثانية لمقابلة العالم المتواضع والحقير أحيانا بعالم أفضل يسوده الايمان فهو بعد أن يصف نفسه :

وها أنا هنا عجوز في شهر قحط •

مع صبي يقرأ لي ، انتظر الغيث •

وبعد أن يصف بيته بأنه « بيت متداع » - والبيت بالطبع يمكن أن يعني أشياء عديدة عدا مكان السكنى كالاستقرار والامان وحياة الاسرة - يلجأ ، وهو الشاعر العميق في التدين ، الانكلو كاثوليكي التعصب ، الى الديانة المسيحية ليستقي منها صوره :

« وفي ربيع السنة أتى المسيح النمر »

ولعله يريد قارئه أن يربط بين « المسيح النمر » هنا وبين « الغيث » في البيت الثاني من القصيدة وهو يعود الى هذه الفكرة بعد أن يصف اشخاصا ، يذكرون القارىء بيت للضيافة في لندن مثلا ، وكأنها أشباح لابد من أن يلتهمها « النمر » الذي يأتي مع « السنة الجديدة » • هنالك شعور ديني يصاحبه بعض الامل في « جرونتيون » ومع ذلك فجرونتيون ينتهي حيث بدأ فالجفاف مستمر وليس الغيث بقادم اليه :

« سكان البيت !

خواطر عقل جاف في فصل جاف » .

وكم تختلف نهاية هذه القصيدة عن نهاية قصيدة أخرى شبيهة بها في بعض وجوهها – وخاصة في أن كلا القصيدتين تعكسان أفكار عجوز يتحدث عن الحياة الماضية والموت القريب – وهي « يوليسيس » لتينسون فهذه تنتهي بتأكيد لقوة الارادة وللايمان بالانسان :

« ...... ولكننا أقوياء في ارادتنا

لنناضل . ونسعى ولنجد ولكي لانستسلم أبدا (١).

ان ما يأخذه كثير من النقاد والقراء على اليوت هو أنه شاعر صعب وأن شعره يستعصي على الفهم لتعقده وتشابكه وبل وغرابته ويعطون على هذا مثالا قصيدته الشهيرة التي مكنت اسمه في عالم الشعر وأعني بذلك وكما ولا بد أن القارىء قد أدرك « الارض الخراب ». ان الشكوى المستمرة من صعوبة القصيدة قد جعلت اليوت يضيف اليها ملحقا يشرح فيه بضع نقاط فيها . وبعض مصادرها . والواقع أن « الارض الخراب » ليست بالقصيدة التي يمكن فهمها والاحاطة بما فيها بعد القراءة الاولى بل لابد من قراءتها مرات عديدة والرجوع في كل مرة الى بعض من المصادر التي استقى منها اليوت مادة قصيدته . وان اليوت نفسه ليتوقع من قارئه مثل هذا الجهد الفكري وخاصة أنه كتب في مكان ما بأن الشعر الحديث لابد من أن ركون مقعدا ما دام ينتجه أفراد يعيشون في عالم كثير التعقيد كعالمنا الحاضر .

ان الاحاطة بكتاب الآنسة « وستون » عن طقوس الخصب الخصب هو شيء أساسي لفهم القصيدة مثلا . ولكن هنالك سطورا كثيرة في القصيدة تدين تارة للكتاب المقدس كما في المقطع الثاني من « دفن الموتى » الذي يؤلف الجزء الاول من القصيدة التي تتألف من خمسة أجزاء أو قصائد. وتارة لدانتي ، الذي ساعد اليوت على تعميم مؤلفاته وتعريف الانكليز بها ، كما في وصفه للندن حين يقارنها ، بصورة غير مباشرة ، بالجحيم في الكوميديا الالهية ، وحيث يستمر فيذكر حرب الرومان مع القرطاجيين ليشعر القارىء بأن كل الحروب سواء في عقمها ووحشيتها . ثم ان هنالك أسطرا كثيرة ترجع الى شكسبير كما في افتتاحية الجزء الثاني من القصيدة « لعبة الشطرنج » حيث يستعمل اليوت كلمات استعملها شكسبير في «أنطوني وكليوباترا» ويستقي اليوت بعضا من صوره أيضا من كتاب القرن السادس عشر المسرحيين كوبستر وميدلتون وفي قصيدته بالاضافة الى كل هذا نجد آثارا وانعكاسات لبعض الافكار الصوفية المسيحية والشرقية كالبوذية .

أما المواضيع التي يعالجها اليوت في الارض الخراب فهي لا تختلف كثيرا ، الا في طريقة عرضها ومعالجتها ، عن المواضيع التي نجدها في « جروبتيون » وان كان المستوى الفكري في « الارض الخراب » يبلغ طبقة عالية لا يبلغه الا شخص كاليوت جمع ثقافات متعددة وتنقل بين هارفاد والسوربون واكسفورد . ويلاحظ القارىء أن الشعور الديني في « الارض الخراب » يصبح أكثر ظهورا ، بل اننا لنلمس الحاحا مستمرا عليه وذلك شيء نتوقعه من شاعر قال مرة : « لا أستطيع أن أتصور أن الشعر يمكن أبدا أن يكون منفصلا عن شيء أسميه ايمان » .

ان شخص المسيح مثلا يتخذ عدة أشكال في « الارض الخراب » فهو تارة الرجل المصلوب وتارة « الشخص الثالث الذي يشعر بوجوده ولا يرى » وأخرى « وال الذي كان حيا وهو الآن ميت » واليوت بين الفترة والفترة يقدم لنا صورة لجانب من الحياة في مدينة كلندن . ففي النصف الاول من « لعبة الشطرنج » يصف لنا غرفة امرأة غنية جدا بوقعها الموسيقي وبجمال أصوات كلماتها ، ولكن الترف الذي يغمر الغرفة يبدو لنا لا شيء حين نقارنه بالفراغ وانعدام المعنى اللذين يسيطران على شعور المرأة نفسها . وفي هذا الجزء نلمس موهبة اليوت الدراماتيكية المسرحية حتى في شعره فالحقيقة هي أن « الارض الخراب » هي نفسها قصيدة دراماتيكية يمكن أن تتخيل فيها أشخاصا تظهر لتتكلم ثم تختفي لتفسح المجال لغيرها .

ان تكرار كلمة « لا شيء » في هذا الجزء بالاضافة الى أنه يقوي الصفة المسرحية يخلق الجو الذي يريد اليوت نقله الى قارئه : جو الفراغ والعدم . جو « لا شيء » ، أو

---

(١) لمقارنة مفصلة بين القصيدتين اقرأ Key to mobern poetry تأليف Lawrence Dussell صفحة (٩) .

جو لعبة الشطرنج • وكل من يعرف مسرحية ميدلتون يعرف ما هي لعبة الشطرنج •

أما في النصف الثاني من هذا الجزء من القصيدة فان المنظر يتغير لنجد أنفسنا في حانة في أحد أحياء لندن المتواضعة حيث نسمع أصوات نساء يتصورهن القارىء جالسات وراء كؤوس ضخمة من البيرة السوداء يتحدثن باللغة العامية عن أشياء عادية مألوفة • عن ذلك الرجل وعن تلك المرأة • أشياء يمكن لاي شخص أن يسمعها في أية حانة في لندن أو سواها • وان استعمال اللغة العادية • لغة الخطاب أو اللغة التي نلمس فيها الصوت الانساني هو ما يضيف كثيرا الى عظمة ما حققه اليوت في الشعر الحديث بالاضافة الى اضفاء الصبغة المسرحية على شعره التي ألمحت اليها سابقا •

أما في الجزء الثالث من القصيدة فنحن نجد صورة أخرى للندن تبدأ بوصف للتايمز ـ الذي هو واحد من أنهر كثيرة ترمز للحياة ـ « ولكن الخيمة التي الى جانب النهر قد حطمت » وهنالك جرذ يسير على الضفة من الممكن أن يكون اليوت قد أراد به أي شخص يعيش على الارض الخراب وله صفات من يعيش عليها • ثم ينتقل الشاعر لوصف الحياة الجنسية لسكان الارض الخراب واليوت يولي هذه الناحية الكثير من الاهتمام وخاصة في قصائده القصيرة التي سبقت « الارض الخراب » وتلت « جرونيتون » • وهو يصف لنا هنا الحياة الدامية لضاربة الآلة الكاتبة وصديقها الكاتب ، حياتهما التي أصبحت آلية بالقدر الذي أصبح فيه عملهما آليا • ثم يعود الشاعر الى وصف النهر ليسمعنا فتياته وهن يسردن قصص «جبهن» وينتهي الجزء الثالث بأسطر مقتبسة من اعترافات القديس أوغسطين ومن « موعظة النار » لبوذا واليوت هنا يريد ـ كما يشير في ملاحظاته ـ أن يجمع الفلسفة والشعور الديني الغربيين والشرقيين معا •

ان ما يزيد في صعوبة شعر اليوت هو الثقل والتركيز الذي يحمله كلماته فيجد القارىء أن عليه أن يسير ببطء حتى تتكشف له محمولات وامكانيات كل من تعابيره • ففي الجزء الرابع من القصيدة : « الموت بالماء » نجد مقابلة مقصودة بين النار في الجزء الذي سبقه وبين الماء هنا ولكن الماء ، وهو ما يهفو اليه كل شخص لكونه مصدرا للحياة ، لا يجلب للناس الحياة بل الموت • ولكن بالنسبة لاليوت لا بد أن تأتي الحياة عبر الموت فحالة الانسان الحاضرة هي ما يسميه اليوت « نصف حياة ونصف موت » • ان في شعر اليوت عامة رغبة ملحة في الموت ، في الموت الذي يجلب الحياة :

« وكم سيسعدني موت آخر » •

أما في الجزء الاخير من الارض الخراب المسمى « ما قاله الرعد » فان اليوت يعود الى طرق موضوع القحط والجفاف الذي يلمسه في حياة الانسان وهو يستعمل الصخر والرمال في هذا الجزء لتدل على ذلك القحط والعقم • لكن الجفاف هنا يحمل معنى العطش للايمان والدين وهذا يصبغ هذا الجزء من القصيدة بصبغة دينية عميقة تعود للظهور بصورة أقوى في القصائد التي تلي « الارض الخراب » [١] :

لا ماء هنا بل صخر فقط
صخر دون ماء والطريق الرملي
يتسلق ملتويا بين الجبال
بين الجبال الصخرية التي لا ماء فيها
ولو كان هنالك ماء لتوقفنا • ولشربنا
ولكن بين الصخور لا يستطيع أحدنا أن يقف • أو يفكر •

ثم يعود الى المدينة • الى لندن وسواها فيراها « أبراجا متداعية » بل خيالية لا حقيقة فيها • ثم نسمع صوت الرعد ونظن أنه سيجلب لنا الغيث والخصب ولكننا مرة ثانية نجد أنفسنا في موقف جرونيتون فالغيث لا يأتي والقحط يستمر • وتنتهي القصيدة بجملة من اوبانيشاد ، أحد الكتب الدينية الفلسفية الهندية المؤلفة للغيدا أو المعرفة ويترجم لنا اليوت تلك الجملة بـ « السلام الذي يتعدى التفاهم » وهي على الاقل تجلب شعورا بالتفاؤل لا نلمسه في أي مكان آخر من القصيدة •

ان الصبغة الدينية التي نلمسها على القصائد التي تليها بصورة تكاد تكون كاملة بل اننا لنسمع في « أربعاء الرماد » (١٩٣٠) ترديدات القسيس في صلواته ونشعر بأن اليوت يستمد الكثير من صوره فيها من كتاب الصلوات مثلا كذلك نجد أن الوقع الموسيقي لبعض أبياته يشبه الترتيلات الكنائسية كما في المقطع التالي :

---

(١) راجع كتاب المسمى

« وصل لنا ربنا – نحن المخطئين – الآن وفي ساعة موتنا وصل لنا الآن وفي ساعة موتنا • »

أما الجزء الأخير من القصيدة التي تتألف من ستة أجزاء فينتهي بـ :

« ودع دعائي أيها الرب يصل اليك • »

في « أربعاء الرماد » نجد أن الاهتمام بالعالم الخارجي يقل وأن الشاعر يجعل مركز اهتمامه العالم الداخلي الروحي للانسان وهذا شيء يستمر في أكثر شعره الذي يلي « أربعاء الرماد » كما في آخر قصائده « أربع رباعيات » (١٩٤٢) التي يعتبرها خير ما أنتج والتي يستعرض فيها اليوت الماضي، ماضيه هو ، ولكن بالنسبة للزمان • الزمان الثابت الذي يجدد نفسه والذي لا يميز فيه بين ماض ومستقبل والذي يمكن أن يشمل متناقضات كثيرة فهو المستقبل كما هو الماضي كما ذكرت • وهو التاريخ، تاريخ أسرته وتاريخه هو وما يرتبط به من أماكن وحوادث • ان الاجزاء الاربعة المكونة للقصيدة يحمل كل منها اسم مكان عرفه اليوت أو عاش فيه أجداده أو يرتبط بحياته أو بحياتهم بصورة ما •

هذا وتعكس « أربع رباعيات » أفكار اليوت الصوفية بل اننا لنجد في القصيدة أصداء لآراء المتصوفين أمثال القديس خوان دولاكروس والصيني لاوتسو •

وعلى الرغم من أن « أربع رباعيات » تعد بين أعظم القصائد الدينية في الادب الانكليزي فان لغتها والصور المستعملة فيها ليست بالدينية بل ان اليوت ينجح في نقل شعوره الديني العميق بكلمات بسيطة مألوفة • فهو يستعمل الظلمة والفراغ ليدل على حالة الانسان حين يكون بعيدا عن الايمان الروحي والديني ، وفي هذا انفلات من اللغة التي تسيطر على قصيدة « كأربعاء الرماد » بل حتى على « الارض الخراب » نفسها حيث نجد أن الصور الدينية المستمدة من الكتاب المقدس تارة أو من أقوال القديسين تسيطر على القصيدة وتعطيها قالبا وشخصية متميزتين • ولعل هذا التغير في اللغة والصور المستعملة هنا واختلافها عما سبقها يعود الى أن اليوت مارس ، في الفترة التي انقضت بين نشره « لأربعاء الرماد » وكتابته « لأربع رباعيات » ، الكتابة للمسرح الذي يتطلب لغة أبسط وأقل تعقيدا من اللغة التي استعملها في « الارض الخراب » مثلا • وهنا لا بد من الاشارة الى أن اليوت كاتب مسرحي أسهم في اعادة الشعر الى المسرح وبدأ مدرسة تبعه فيها عدد غير قليل من الكتاب المسرحيين •

في مقابلة نشرتها حديثا مجلة «باريز ريفيو» التي يصدرها في باريز عدد من الادباء الامريكيين ذكر اليوت شيئا يؤكد هذا : « أعتقد بأن ممارستي الكتابة للمسرح – وأعني هنا كتابتي لـ « مصرع في الكاتدرائية » و « اجتماع العائلة » – أثرت على كتابتي « لأربع رباعيات » وخاصة في أنها أدت الى تبسيط في اللغة والى الكتابة بطريقة أشبه بلغة التخاطب، بل كثيرا ما يبدو لي أن ما أحاول قوله ، أي الموضوع ، في « أربع رباعيات » قد يكون صعبا ولكني أشعر بأنني أعبر عنه بطريقة أكثر بساطة • والعامل الآخر الذي أدى الى ذلك هو ، كما أعتقد ، مجرد الخبرة والنضج اذ أنني أجد أن المشكلة في القصائد الاولى كانت تكمن في عدم تمكني من قول كل ما كان يدور في خاطري • أي أنه كان لدي أفكار أردت أن أجد لها قالبا من الكلام والموسيقى دون أن تكون لدي المقدرة لنظمها بشكل سهل الفهم بعيد عن الغموض • ان هذا النوع من الغموض لينتج حين يكون الشاعر لا يزال في مرحلة تعلم كيفية استعمال اللغة اذ نجده عندئذ يعبر عما يريد قوله بطريقة أميل للصعوبة منها الى السهولة » •

ان المتتبع للشعر الانكليزي الحديث ليلمس فيما ينتجه بعض الشعراء الجدد نوعا من رد الفعل من شعر اليوت يتمثل في محاولة الرجوع الى لغة الشعر التقليدية وفي الثورة على الصبغة التشاؤمية التي سيطرت على أكثر شعر اليوت ولكننا يجب أن لا نعتبر مثل هذه المحاولات ثورة على ما حققه اليوت بل مجرد محاولات لفتح طرح جديدة ومجالات مختلفة هي السبيل الوحيد للتجديد في الشعر والابداع فيه • بل انه لمن الممكن القول أن المحاولات الجديدة في الشعر الانكليزي لتعتمد الى حد كبير على ما حققه اليوت وتبني فوق أساس وضعه هو •

سترافورد – غسان المالح

طبع العدد والغلاف
في مطبعة الجمهورية
دمشق – بوابة الصالحية
بناية الحجار – هاتف ٢٣٥٥٦

جميل صدقي الزهاوي

بقلم عزت بشور

ولد فيلسوف العراق وشاعره المناضل ، المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، في عاصمة الرشيد « بغداد » ونشأ فيها في فترة كبيرة الاهمية في تاريخ الشرق العربي . في فترة عم فيها فساد الحكم التركي ، اذ مثل هذا الحكم الاقطاعية الاستبدادية بأجلى مظاهرها . فتألبت عليه الاحزاب السياسية العربية لتحطيمه ، ساعية لايجاد مقومات خاصة بالاقطار العربية ، تضمن لها سيادتها واستقلالها . فنتج عن ذلك فقدان التقارب العربي التركي ، وحلول النضال القومي .

وفي هذه الآونة تألفت الجمعيات للتحرر من نير الاستبداد التركي ، ولبث الدعاية العربية ، ولترقية الثقافة العربية ، وللنهوض بالامة العربية الى مصاف الامم الحية . وهكذا كان بدء الوعي القومي .

وشاعرنا الفيلسوف « الزهاوي » كان يمثل تلك الانتفاضة القومية الاولى في شعره ، وهو خير معبر عن قيم هذه الحقبة ومفاهيمها .

كان ، رحمات الله عليه ، بجانب الحركة العربية التحررية ضد فساد الحكم التركي ، وضد الدول الاوروبية المستعمرة ، وكان بوقها النافخ لايقاظ الهمم ، وما أشد اخلاصه لها حين يصرخ في وجه الاستبداد والمستبدين قائلا :

« على الذين استبدوا أثير حرباً عوانا »
« أموت فيها عزيزاً ولا أعيش مهانا »

. . . .

« يا أيدي الظلم شلي ويا بلادي استقلي »
« ويا ظلام تمزق ويا شموس تجلي »
« ليس الحياة بعز مثل الحياة بذل »
« قد جاء يوم بأيدي فيه أكسر غلي »

. . . .

كثرت تلك الجمعيات للتحرر من نير الاستبداد آنذاك ، فقلق « جمال » السفاح من كثرتها ، وتخدشت أذناه من سماع أصواتها . فاذا به يصب جام غضبه على قسم كبير من أعضائها ، فيرفعهم على أعواد المشانق في ساحة الرمل في بيروت ، وفي ساحة المرجة في دمشق ، في السادس من شهر أيار عام الف وتسعمائة وستة عشر ، فيغلي صدر شاعرنا الفيلسوف كالمرجل ويقول قصيدته العصماء التي سماها (النائحة) وهي اكليل رائع يضفره الفيلسوف الشاعر لرؤوس الشهداء الابرار ، منها :

« على كل عود صاحب وخليل
وفي كل بيت رنة وعويل »
« وفي كل عين عبرة مهراقة
وفي كل قلب حسرة وغليل »
« علاها وما غير الفتوة سلم
شباب تسامى للعلى وكهول »
« أجالوا بهاتيك المشانق نظرة
يلوح عليها اليأس حين تجول »
« دنوا فرقوها واحدا بعد واحد
وقالوا وجيزا ليس فيه فضول »
« فمن سابق كيلا يقال محاذر
ومستعجل كيلا يقال كسول »
« مشوا في سبيل الحق يحدوهم الردى
وللحق بين الصالحين سبيل »
« ستبكي على تلك الوجوه منازل
وتبكي ربوع للعلى وطلول »
« وان بكائي اليوم لو نفع البكا
عليهم وفي مستقبلي سيطول »

« أبعد بني أمي أنهنه عبرتي
وأمنعهـــا اني اذن لبخيل »
« يبرحني أن الصروح تقوضت
ويحزنني أن القصـور طلول »
« مضى ما مضى لا عاد واليوم فاستمع
الى لهجـة التـاريخ كيف تقـول »
« ستكتب فيـه بالدمـاء حوادث
وتقرأ للويلات فيـه فصـول »

• • •

وبعد وصف دقيق شامل يكشف عن اعتقاده :

« سيذهب هـذا الجيل نضو شقائه
ويأتي سـعيدا بالسلامـة جيل »

• • •

نكبات تعقبها نكبات ، ومحن تتبعها محن ، حكم تركي بغيض يخلفه تدخل أوروبي له البغض أشد ، تدخل غمر البلاد بويلاته ومصائبه ، فاذا بفيلسوفنا الكبير ، يقف في وجه هذا التدخل ، فاتحا صدره ليتلقى أنواع الاذى ، داعيا بني وطنه ليلتقوا غصونا حول الشدائد ، مقتنعا بأن الليل مهما اشتد حلوكه لسوف ينجلي عن صبح وضاح الجبين • قال مخاطبا بني وطنه :

« بثـوا بألسنة لكـم من نـار
ما في جماجمكم من الافكار »
« ثوروا على العـادات ثورة حـانق
وتمردوا حتى عـلى الاقـدار »
« كونوا جميعـا سـادة لنفـوسكم
فالعصر هـذا سـيد الاعصـار »
« ليس الحيـاة سـوى نزاع دائم
يا للضعيف بـه من الجبـار »
« الفوز للجلـد الجريء فؤاده
والويل كل الويـل للخـوار »
« اني أرى صـبحاً تبلـج وجهـه
والصـبح أعرفـه من الانوار »
« أأرى الصباح ولا أغرد شاهقا ؟
اني اذن حجر من الاحجار »

• • •

وانه لغريب حقا أن يلقى شاعرنا الفيلسوف شتى أنواع العذاب من عناصر في أمته ، فتح صدره ليتلقى السهام دفاعا عنها ، ورفع صوته مطالبا بحقوقها، ناشدا حريتها واستقلالها• وانه لغريب أيضا أن يلقى من أبناء وطنه في بغداد ، ضنكا أي ضنك ، قال :

« أنا قد لاقيت في بغداد ضنكاً ـ أي ضنك »
« طالما كنت بهـا أعتزل الناس ـ وأبـكي »
« أنـا لا يسأل عني أحد حين أغيب »
« أنا كالرحمة منبوذ وكالحق غـريب »

• • •

وما كان لينال هذا الاذى لولا عناصر جامدة في أمته ، ولولا رجال الدين الذين حاربوا مبادئه الفلسفية ، والذين كانوا يرون أنفسهم طبقة ممتازة ، وهو كان يرى أن الدين الحقيقي لايمكن أن يكون أساس تمييز ناس عن ناس •

ولذلك تهجم عليهم ، محاولا أن يفهمهم جوهر الدين الحقيقي ، فغضبوا عليـه أشـد الغضب ، ورموه بالزندقـة لمجاهرته بآرائه الفلسفية قال :

« جعلوا الدين آلـة لبلوغ المـآرب »
« وهي أفضت الى اختلاف لهم في المذاهب »

• • •

كان يريد من رجال الدين أن يكونوا قادة للشعب في نضاله ، كان يريدهم أن يكونوا متسامحين ، لان التسامح حكمة ورحمة ، تضحية ورجولة ، سمو وعظمـة • كان يريدهم ألا يروا أنفسهم طبقة ممتازة ميزها الدين عن غيرها من الطبقات ، كان يريدهم أن يعلموا العلم الصافي ، العلم الممجد للدين الذي يرفع النفس الى المثل العليا ، ولا يتعصب لجنسية غير جنسية الانسان •

كان يريد ذلك ، ولذلك وقع الاختلاف الشديد بينـه وبينهم ، فحاربوه وتغلبوا عليه بمناصرة عناصر جامدة في الامة •

وكذلك من أسباب الاختلاف بينـه وبينهم ، نظرته الى المرأة • كان يريدهـا أن تكون شريكة الرجل في السراء والضراء • كان يريدها أن تقطع تلك الخيوط الواهية التي تربطها بصخرة الرجعية ، وأن تنزل الى ميدان العمل ، سائرة في ركاب الحياة ، غير متراجعة اذا أدمت الاشواك

«عرضحال» الى عصويص

بقلم : غسان كنفاني

منذ أن قرأت ، قبل أعوام قليلة ، عروضحال كونستانتيان جيورجيو الموجهة الى حضارة الفشل في ملحمته الانسانية الفذة « الساعة الخامسة والعشرون » تصورت أن كتابة عروض الاحوال بين الفينة والاخرى ، وتوجيهها الى الاجيال المقبلة أو الى سلة المهملات ، عمل لا بد وأن ينتج عنه شيء من الراحة النفسية ، ذلك أن الانسان اليائس من عصره ، هكذا كنت أفكر ، تماما كالولد اليائس من أسلوب الحياة في داره ، كلاهما لا يستطيع أن يفعل شيئا مجديا سوى أن يحدث نفسه حينما ينفرد بها في لحظة انسجام ، أو أن يضرب رأسه بالحائط .

ولكن الشيء الذي أثار انتباهي أن العرضحال الاول لعصويص بن عكرمة تسلق صفحات « الثقافة » بعد فترة وجيزة ، لقد قلت لنفسي يومها : « هناك شيئا من التعاطف الذي كنت تنكره ، أليس شيئا جميلا أن يكون للتعاطف الوجداني ، في هذا العصر ، قيمة أكبر من أي عصر مضى؟ » ان العرضحال الاول الذي قرأته جعلني أفكر كما يلي : « لقد أصبحنا اثنان الآن .. ننكر على حضارتنا اغراقها في تجاهل الفرد «الشخص» .. وآليتها ، وقاذوراتها ، والحرب الباردة فيها ، وغلاء أسعار كمالياتها وضروريها في آن واحد ... وفي نفس الوقت لا بد أن نعترف أننا ، نحن الاثنين ،

قدميها ، من أجل كرامة وطنها ومجده ، قال :

« يرفع الشعب الى المجد أناث وذكور »
« وهل الطائر الا بجناحيه يطير ؟ »

. . .

« لا خير في مجتمع نصفه بسيء العادات مغلول »
« يخيط في موضعه نصفه ونصفه الآخر مشلول »

. . .

وكذلك من أسباب الاختلاف بينه وبينهم ، محاربته الظلم في مجتمع ينقسم الى طبقات ، بعضها مستبد بالبعض الآخر .

كان يحمل قلما يدعو لمصارعة الطغيان مصارعة ، ولمحاربة الظلم حربا ، بقوة ايمان قائم بالنفس ، لا يزول ولا يضعف في الملمات ، وبعقيدة تهزأ بسجون الطغاة البغاة . كان يريد أن يكون العدل مجسما في علاقات أفراد الشعب مع بعضهم البعض ، فلا يكون أحد هدفا لاعتداء أحد . ولا تكون طبقة فقيرة معدمة يستعطف أفرادها بيض الايادي . فلا حياة لامة مهما كان شأنها ، ومهما كانت عظيمة بين الامم ، اذا ساد فيها الظلم ، وتوطن فيها الفساد ، واستبدت طبقة من أبنائها بطبقة أخرى . الناس عنده كلهم عيال الله ، أقربهم اليه أبرهم بعياله ، قال :

« أنظر دموع اليتامى وتب ! أما لك رب ؟ »
« واسمع دعاء الايامى وارحم ! أما لك قلب ؟ »

. . .

خلاصة القول عن شاعرنا الفيلسوف « الزهاوي » أنه كان يحمل رسالة في شعره ، تتجلى في محاربته للاستعمار الاوروبي ، والحكم التركي ، دفاعا عن حرية بلاده واستقلالها . وفي مناصرته للمرأة ، التي طلب تثقيفها وانهاضها لتشارك الرجل في المجتمع . وفي تهجمه على رجال الدين الذين لم يفهموا الدين على حقيقته . وفي حملته على الطبقة الغنية المستبدة بالطبقة الفقيرة .

واذا ما عكفنا على دراسة شعره ، نرى أنه كان ينظم لاجل فكرة يؤديها ، لذلك قلما نجد في شعره مسحة من البراعة في التعبير . وكان يكتب لسواد الناس ببساطة متناهية قال :

« لم يكن مبدأ البساطة في الشعر معلنا »
« أنا من بعد أعصر أنا أعلنته أنا »

وكذلك شعره تنقصه الرنة الموسيقية ، شأن عامة الشعراء الذين ينظمون لاجل فكرة ، لا لاجل قطعة بيانية ينمقونها .

رحم الله الزهاوي شاعرا وفيلسوفا ، وقف قلمه على خدمة الامة العربية ، مستنهضا همم رجالها ، مصفقا عند نجاحها ، متألما عند انخذالها ، مناضلا في سبيلها ، في شبابه وكهولته وشيخوخته .

أيضا ، تابعان هزيلان في طابور طويل من هؤلاء الرافضين لحضارة القرن العشرين ، طابور طويل يتتلمذ آخره على اصابع أوله ، ويحوي هذا الاول خليط رائع لايشترك الا في كونه يلتزم استقامة الرفض المطلق لهذه الحضـارة ، والاصرار على ممارستها ... كل الادباء والفلاسفة البارزين في هذا القرن ، كل الفنانين ، كلهم – على اغلب الظن – يرفضون حضارة القرن بطريقة أو باخرى ، ويعبرون عن هذا الرفض بكل مافي طاقة اللون ، والقلم ، والوتر ... كل لحن يكتسح سوق اليوم يحتوي على بحة الصـراخ المتشنج الرافض ، كل كلمة مكتوبة باخلاص ترتعش تحت ضغط العبودية والرغبة في التحرر ، كل لون يعلق على حائط يتموج بصخب مجنون خائف ... ان نصف العالم – على هذا – يرفض العالم .. بل واكثر من نصف العالم اذا اعتبرنا أن القيادة التلقائية هي للكيف وليست للكم ، قلت لنفسي ذلك ، ثم طرحت السؤال الـذي اقلقني : « أين المشكلة اذن ؟ » أكثر من نصف العالم ، يرفض العالم .. هذا هو الوضع بايجاز ، والعالم هذا قـد فلت زمامه من سكانه ... ان المشكلة الآن ليست في أن « نرفض » فقط ، بل في أن نخطو الخطوة التالية ، في أن نسأل : «ماذا نريد؟».

لقد علمني هذا الكلام ، بصورة غير مباشرة ، طبيب عالج صديقا لي هذا الصيف ، لقد فجأه بنبأ مرض مزمن ، ثم قال له ببساطة : « أنت أمام أمرين ، اما أن تقبل أو أن ترفض ، فاذا قبلت فلتعش بشجاعة متلائما مع وضعك الجديد ... واذا رفضت فعليك أن تموت بسرعة ، وبشجاعة أيضا » !

أخاف ، ياعصويص العزيز ، ان تصل ورطتنا الى هنا : اما ان تتكيف بشجاعة .. أو أن ... هل نقولها ؟

قرأت مرة لفيلسوف اميركي ، أو انجليزي .. المهم لفيلسوف يعيش في « لحظة الانسحاق الآلي » ان مشكلة العصر هي مشكلة تكيف . اننا نتطور بسرعة أقل من تلك التي يتطور بها ما حولنا ، وهنا تتأزم المشكلة ، وتبرز قضيته الجديدة : هي قضية عدم القدرة على التكيف ..

ترى أين وصلنا أيهـا العصويص العزيز ؟ يجب أن يتلاشى تعريف : « الانسان حيوان متكيف » كما سقط من قبله تعريف « الانسان حيوان متكلم » ونخـاف أن تعود المشكلة من جديد الى البحث عن تعريف يفرق بين الانسان والحيوان !

... « يجب أن يتلاءم مع حياتك الجديدة » هكذا قال الطبيب لصديقي وهو يدخن خلف مـكتبه الانيق المزود بمكيف هواء ، لقد استمعت وصديقي لنصيحتـه بامعان ، وحينما خرجنا قلت لصديقي : « أسمعت ماقال الطبيب ؟يجب ان تتلاءم مع الحياة .. ان كلمة « تلاؤم » هنا مشتقة مـن اللؤم بلا شك ! » ..

وهكذا وصلت ، من حيث لم اقصد ، الى حل لمشكلـة علاقة الانسان بحضارته ، ان العلاقة قد فرضت الآن ، انها علاقة التحدي ، علاقة التلاؤم بمعنى اللؤم مع هذه الحضارة .. طالما ان قدرة الانسان على التكيف أمر يتناقض وطبيعة التطور الحديث .

سوف تضحك الآن .. كما اعرف عنك كلما واجهت تناقضا ما ، وسوف تقول : « ان الرفض يعني التحدي .. أنت لم تأت بجديد ، لقد وقعت في كيس مثقوب ! »

كلا ، ياعصويص ، ان الرفض يعني عدم القبول ولكن التحدي يعني المنهج المطلوب بعـد عدم القبول هذا ، ان الرفض هو الخطوة الاولى ، اما التحدي فهو الخطوة التالية .. انك تستطيع ان ترفض ، ببساطة ، ولكنك لن تستطيع ان تنتقل من دور الرافض الى دور المتحدي ، الا بعـد تجربة بطولية .. أم انك لازلت تضحك ؟.

وحينما يصبح الانسان « متحديا » يرتقي من فرد ضائع الى فرد موجود « ان الرافض » هو الضائع ، أما « المتحدي » فهو في أعمق أعماق الايجاد .

ولكن ماذا نعني حينما نقول : « المتحدي » هل يستطيع الانسن ، فعلا ، أن يصل الى دور المتحدي لمجرد رغبته في أن يتخلص من ضياع الرفض ؟ ما هي القيمة الرئيسية للمتحدي ؟

ان المشكلة اصبحت صعبة ، فحينما نصل الى تقييم الانسان المتحدي لن نستطيع ان نهرب من اعطائه قيمة « الحرية » كسمة رئيسية لتكوينه ، فالانسان المتحدي هو الانسـان المرتبط بسلوك التحدي على أساس الاختيار لا على اساس الفرض ، أليس كذلك ؟ الانسان المتحدي هو الانسـان الذي مارس كل الحرية الممكنـة للوصول الى الالتزام ، الانسان المتحدي هو الحرية ... وحينما يصل الموضـوع

الى الحديث عن الحرية نقع في ورطة أولية ، هي اننا لن نستطيع ان نهرب ، أيضا ، من كوننا مرتبطين بالحرية السياسية كأول مفهوم من مفاهيم الحرية ، واكثرهاضرورة .. انك لن تستطيع ان تكون حرا أبدا الا اذا كنت«متحررا» أولا ، ذلك ان الوصول الى الحرية ـ بمفهومها الشامل ـ يفرض علينا ان نقلل قدر الامكان من عبودية الظروف المحيطة .. تستطيع ان تطلب مني ، في دولة تحترمني ، أن أمارس حريتي ، ولكنك لن تستطيع أبدا ان تطلب مني ذلك في دولة مستعمرة ، لأنك ـ ساعتئذ ـ مجرد جسم هيولي ، بلا ملامح ، في سائل لزج من الاستعباد ، أو الاستعمار لو شئت .. وهي كلمة ، في هذه الظروف ، لامعنى لها على الاطلاق ، انني اعتقد أن الوصول الى « الحرية » يبدأ في « التحرر » ... أي في المسؤولية السياسية الملتزمة!!!

لقد وقعنا في الفخ ! أنت وأنا .. ووصلت المشكلة معنا ، تصور هذا ، الى حد تضطرنا معه أن نعترف بأن الانسان الرافض ، الذي يريد أن يصل الى مستوى التحدي يجب أن يكون منتسبا لاحد الاحزاب السياسية ـ رغم أنف كامو ـ كتعبير وحيد لفترة الانتقال مابين الانسان الضائع ،والانسان الموجود .

أنت تضحك مرة أخرى ! أليس كذلك ؟ حسنا ، أنا أريدك أن تضحك الآن ، اقسم لك ، لانني كتبت هذا العرضحال كي أصل الى هذه النقطة ... هل تستطيع أن تصل الى مخرج من هذا الفخ ؟ هنالك مثل قديم يقول ان « كل الطرق تؤدي الى الطاحون » ، قد يكون هذا المثل وضع من أجل فأر يعشق قضم القمح ، ولكنه بالنسبة لانسان لايحب القمح يصبح هذا المثل مأساة محضة ! ولقد بدا لي من عروض الاحوال التي وجهتها للاجيال المقبلة أنك لاتحب أكل « القمح » على الاطلاق ، فهل تستطيع أن تهرب ؟ ان كل الطرق التي تبدأ من نقطة الرفض تنتهي الى « الطاحون » ... الى الطاحون فقط أيها العزيز العصويص !

... ولكن حديثك عن الآلية ، والتشدق « الآلي الميكانيكي الماركسي » في عرضحال سابق حديث ممتع ! وهو يعرض المشكلة بصورة جميلة كما يفهمها أولئك الذين احتكروا استيراد افكار غيرهم ، واحاسيسهم .. ان المشكلة التي تصفع حياتنا ، وتطلع علينا بمثل هذه النماذج الآلية هي أن الآلة تتطور بصورة مرعبة ، أما « روحية » الانسان ـ بالمعنى الواسع لا الحرفي ـ فانها لا تستطيع اللحاق بالموكب الآلي .. وهنا نعود لمشكلة التكيف ، ان القضية ليست قضية « الآلية أحسن » أم « الروحية أفضل » ، ان المشكلة هي ان عنصر التفاعل بين الانسان : كوريث لحضارة روحية ، وبين الآلة : كعنصر رئيسي للعلاقات البشرية الاقتصادية اليوم ، يكاد يكون معدوما ، ورغم ذلك فانك تستطيع ان تتصور كم نحتاج لهذا التفاعل لا لشيء الا لأن مستوى جيلنا وحضارته يحتم ذلك ، اننا لم نغادر الروحية بعد ، ولم نصل الى الآلية التامة حتى اليوم ... وهنا المشكلة !

ومن هذه النقطة يختلف الاتجاه العصويصي عن الاتجاه الشيوعي ، ان الفرد الشيوعي يحاول أن يفتعل التخطي نحو الاسخاق المجموعي الآلي ، اما الشخص العصويصي فانه يخلص ، حتى الفيض ، لضياع عصره ، لأنه عصره .. وهكذا فاننا نحصل على انموذجين : الشيوعي الخارج من ذاته والفاشل في فهم العصر ، والعصويصي الغائص في ذاته والمخلص لتناقض العصر .

لذلك فانك حينما تقرأ الأدب الشيوعي تحس بالثقوب والفراغات والافتعالات وتعليمات اللجنة المركزية ـ فرع الفكر . لأن هذا الادب ناتج عن أناس لا ينظرون الى العالم بعيون مجردة ، بل عبر منظار من النظريات والاسلاك والمعتقلات .. ولأنه ناتج عن « ادباء » لايكتبون عن انفعال داخلي ، بل عن افتعال خارجي .

قرأت قصة لكاتب اذربيجاني حائز على جائزة ستالين في الادب ـ تصور أن ستالين يعطي جائزة للادب ـ قرأت تلك القصة في المساء ، وحلمت طوال ذلك الليل بالمطارق والمناجل والعمال ، وأرباب العمل الشرسين ،والبورجوازيين الملاعين ، والى آخر مافي القاموس الحزبي ، وفي الصباح أحسست برغبة جنونية في أن أقف على منصة ما واحث طلاب صفي على الاضراب من أجل زيادة رواتب عمال الصلب في ميتشيغان ، ورغم ذلك ، أيها الذي يشكو من غرابة اسمه ، حازت القصة على جائزة ستالين ، أليس اسمك ، على أي حال أقل تعقيدا من سلوك الحزب الشيوعي في استعمار اذربيجان؟

ويا ترى ، ألن يكشف لنا رئيس وزراء سوفياتي قادم عن مجموعة أوامر كتابية وجهها ستالين الى الادباء محتوية على منهج كتابة القصة المطلوب ؟

لماذا لاتأتي صحوة الشيوعي الا من الخـارج ؟ سؤال مفاجيء أليس كذلك ؟ ولكنه يتعلق بالادب الذي نتحدث عنه وبضياع القدرة على الاخلاص للذات وللعصر . كل الادباء الشيوعيين الذين استعملوا قاموس الكلمات العمالية كلها في أدبهم كانت صحواتهم آتية من الخارج : آرثر كوستلر ... اندريه جيد ... جون شتاينبك ... هوارد فاست .. كلهم استعادوا رشدهم من هزة خارجية ، ان أيا منهم لم يصل الى مستوى انقاذ نفسه بالاكتشاف الداخلي وفي اللحظة المناسبة ، لماذا ؟

كل « الادباء » ـ مع حفظ القيمة ـ الذين استقالوا من الحزب الشيوعي مؤخرا كانت استقالاتهم ناشئة عن هزة خارجية ، وبدون هذه الهزة يكون من المتعذر على الشيوعي أن يحرر نفسه من عبودية النظرية ! اذكر أنني شاهدت « أديبا » شيوعيا ـ مع حفظ القيمة جدا هـذه المرة ـ في لبنان .. ولقد شكا الي من ضنك حياته ، شكا بمرارة ، وحينما بينت له أن ضنك حياته ناتج عن تناقض هذه الحياة، فهو « هاوي أدب وابداع » من ناحية و « شيوعي ملتزم من ناحية أخرى ، حينما قلت له ذلك قال ان هذا ليس تناقضا أبدا ، فهو شيوعي ملتزم بناء على قرار فردي ، فهو ليس مقيد بتفكير الحزب تقيدا لأنه اختار الحزب اختيارا ... ولكن فترة صلف الأخ الاديب لم تكن طويلة ، اذ أنـه اعترف بعد قليل بأن رأيه في محاكمات المهداوي ، ورأيه في اسلوب مسك الشارع في بغداد قد ضاعا في اصرار اللجنـة المركزية على أن هذين التصرفين سليمان ، وظهر لي ، أثناء حديث الاديب ، انه يبحث عن البطولة .. انه يريد ان يكون بطلا ذا تجربة نضالية ... يريد أن يكون بطلا ولو عـلى حساب الحقيقة ... قلت له : ألا تستطيع أن تمارس حريتك مرة واحدة ؟ ألا تستطيع أن تصل الى مستوى الانسان الحر وتغادر الانسان القطيع ؟ ألا يمكن لهؤلاء الناس أن يقرروا مرة واحدة بدافع من تفكير شخصي منفرد مخلص ... ألا يمكنهم ؟؟

ان الفرق في رأيي بين الفرد الشيوعي والفرد الليبرالي ـ الذي نكرهه أيضا ـ ان الاخير يستطيع أن يفكر بحريـة أكثر ... صحيح ان اوجه التشابه كثيرة أهمهـا القبول القبول المطلق لانتصار الآلية ولفكرة التقدم الحضاري ،ولكن الفرق بينهما ان الليبرالي انعكاس طبيعي للمجتمع الليبرالي، أما الشيوعي فهو انتاج كامل للتنظيم الحزبي فقط !

ولكن كلمة « تنظيم » هنا تحتاج الى قليل من التشريح.. ان المفروض بهذه الكلمة حينما تستعمل في حزب ما ان الحزب يريد أن يحافظ على البتارات المتبادلة بين قمـة الحزب وقاعدته من أجل تنظيم نمو الفكر ، وتكامله ، ولكن حينما يكون النظام الفكري مفروضا اصلا ، ومخططا أصلا، ومتكاملا أصلا ، تصبح كلمة « التنظيم » تعني المحافظـة ـ بكافة الطرق ـ على هذه الافكار الموضوعة مسبقا وارضاعها للاعضاء بكافة الوسائل الجهنمية ، وهكذا كان من الطبيعي أن يستعمل « ستالين » كل سلطات البوليس السري مـن أجل الحفاظ على مخ لينين ، ومن أجل هذا يفصل مـن الحزب كل من لايهز رأسه جيدا .

وهنا ، أيضا ، يتغير معنى كلمتي « الهرم التنظيمي »فبينما يعني الهرم الشكل الذي يحتوي على التفاعل مابين القمـة والقاعدة ، يصبح معناه ، في الحزب الشيوعي ، ضغط القمة على القاعدة ، ذلك أن القاعدة تتلقى تعليمات القيادة في الحزب ولكنها لا تستطيع أن تعكس ، بحكم السلطة المعطاة للجنة المركزية ، انفعالها بهذه التعليمات .

الهرم هنا اذن ليس شكلا يحتوي لتفاعل نشط ، كما هو المفروض ، بل هو هرم حجارة ، يحتله من الداخل «خوفو» واحد أحد ... و « خوفو » هنا هو الماركسية السنية !

وهنا ، ياعصويص ، سؤال جديد ، الى أي حد يـكون الشيوعي ، الذي رضع عبودية التنظيم الهرمي الشيوعي داخل حزبه ، الى أي حد يكون هذا الشيوعي مسؤولا عن تصرفاته ؟ الى أي حد يمكننا أن نطالب انسانا فقد قدرته على التفكير المخلص ان يكون مخلصا،وبعبارة اوضح : أليس الشيوعي مجرد انسان مريض بما نستطيع أن ندعوهانطماس العقل الشخصي ؟ والا كيف نفسر هذه الوحدة الغريبة في التفكير الشيوعي في كل العالم ؟ « كأنك واقف بين مرآتين متقابلتين » كما قال أحد رعاة البقر في فيلم ملون ؟ أليست هذه هي مأساة « الاهرام » تكرر نفسها في التاريخ ؟ عبودية

الذوق السليم
واثره في حياتنا الاجتماعية

بقلم : رفيق المقدسي

لقد اعتدنا ، بحكم العادات التي سيطرت على كل منا ، سواء من البيئة أو التربية ، الا نهتم الا بالشؤون الكبيرة ، أو التي نتوهم انها كبيرة ، بينما في الحقيقة هنالك أمور بسيطة في مظاهرها ولكنها في جوهرها هي الشؤون الكبيرة ، لانها تمس حياة كل منا مسا مباشرا وتؤثر على راحته وهدوء اعصابه ، بل تؤثر في شقائه وسعادته !

هذه الاشياء التي نراها بسيطة ، ما اكثرها ، انها تمر أمام اعيننا في الليل والنهار ، وتطالعنا في كل زاوية من زوايا الحياة الاجتماعية ، بشكل بارز يؤثر على اعصابنا تأثيرا مباشرا ، وهي متشابكة ومتعددة حتى انه لا يمكن حصرها ولكن تقديرها ومعرفتها متروكان الى دقة الملاحظة وسرعة الفهم والذوق السليم .

هذه الاشياء البسيطة في نظرك ، هي في الواقع ، الاشياء الكبيرة في نظر الناس ومن خلالها يحكمون عليك وعلى درجة رقيك وسعة ثقافتك ومدى ذكائك ، وهي التي يلاحظها الناس عندك ويحكمون من خلالها لي أو علي ، لك أو عليك ، وقد يكون حكمهم صامتا لاتحسه ولا تسمع به ، لأنه حكم هادىء ، ساكن ، لاعلنية فيه ولا ضوضاء ، انه حكم يطلقونه من قلوبهم ومن عقولهم ، لاتحسه ولا تثبته ولكنه يترك لك رصيدا في نفوس الآخرين قد يكون يتفق مع مصلحتك وقد يكون معارضا لها معارضة تامة .

فهذه الاشياء التي تظنها بسيطة هي المرآة التي يرى الناس وجهك من خلال زجاجها ، فأنت ، مثلا ، قد تسير في الشارع ، وهذا شيء عادي وبسيط ، لأن كلا منا يسير في الشارع ، ولكن من هذه الحادثة البسيطة التي قد لاتأبه لها ، يحكم عليك الناس ، سواء منهم الذين يعرفونك أو الذين لايعرفونك ، وأنت تستطيع من هذه الحادثة البسيطة ان تعطي فكرة عالية عن شخصك ، وذلك بان تتجرد في مشيتك من الخيلاء او من الانتفاخ الذي يشبه انتفاخ الطاووس ، لأن أي انسان يرى مشيتك هذه يحكم عليك حكما سيئا لهذه الظاهرة البسيطة ، بينما قد تكون في قرارة نفسك رجلا طيبا ، ولكن الناس لايتعمقون الى جوهر الامور بل يحكمون في أكثر الاحيان على الظواهر ، فهذب هذه الظواهر واجعلها تتلاءم مع مايستسيغه الناس ، وتتلائم مع حقيقة نيتك الحسنة ، لأن الخيلاء في المشي يعتبرها الناس كبرياء ، وهي خلة مكروهة من الله والناس ، لأن الكبرياء

متناهية في بناء الشكل من أجل مضمون تافه ؟ عملية استعباد الألوف من أجل الرأس ؟ عملية سحق الحرية من أجل « المجموعية » الصلبة التي لاتصلح لشيء ؟ أليس الهرم التنظيمي الشيوعي هو نفس هرم الحجارة ؟

واحد من هذا الطراز اعطاني قبل اسبوع قصة قصيرة كي أقرأها واعطيه رأيي ، ولقد صدعت رأسي اصوات مظاهرات العمال واضراباتهم ، وصياح الرأسماليين ، وكروشهم ، وقسوتهم ، وقتلني بطل القصة الذي كان شيوعيا انموذجيا ... وحينما راجعني ليأخذ رأيي المتواضع ، قلت له جادا :

— ان القصة كاملة من حيث مطابقتها للنظرية الماركسية ، ولكن هنالك خطأ .

— ماهو ؟ .

— اسم البطل ، يجب أن يتغير كي يتناسب مع ماركسية القصة .

وسأل صاحبي وهو يمد رأسه بعض الشيء :

— وماذا تقترح ان يكون ؟

— عبد المنجل شاكوش .

غسان كنفاني — الكويت

دليل على غلاظة القلب ، وغلاظة القلب دليل على الكراهية وظلام الروح ، وهذه كلها صفات يمقتها الناس وينبذها المجتمع .

واذا مشيت ونظرت الى الناس فلتكن نظراتك وديعة لاتنطوي على شيء من التحدي والبغضاء ، والا يكون فيها مايجرح شعور الغير أو يجعله يحس بقدر منك وحرج ، لأن للناس احساسا دقيقا فيما تعبر عنه العيون ، ولا تنس أن في العينين تكمن التعابير الصامتة والمعاني العميقة التي تنقلها العيون على عدسيتها فتدخل الى افئدة الناس بسرعة البرق الخاطف ، ويعكسها شعور الناس بنفس السرعة التي يتلقاها ، فكن مهذبا في نظراتك الى الغير ودع هذه النظرات وادعة تعبر عن أرق المشاعر الانسانية واسماها ، وقد قالت الحكماء متى رأيت البؤس في وجه أخيك فدعه يرى الرحمة في عينيك .

وهنالك ناحية بارزة يشمئز الناس منها وتدعو الى القرف من السير في الشارع كاطلاق الكلمات البذيئة ، والتهكم على زيد او عمرو من الناس ، والنظر الى السيدات بعيون شرهة أو القاء كلمات الغزل أو الكلمات المبطنة على اسماعهن سيما اذا كن من ربات البيوت أو السيدات الرصينات ، فان في هذا مايتنافى ليس مع قواعد الذوق السليم فحسب ، بل ومع أبسط قواعد التهذيب التي تفرضها الآداب العامة ولكي تعرف خطورة هذه الظاهرة وسوء اثرها فما عليك الا ان تتصورها واقعة على زوجتك او أختك او قريبتك ، فانك بلا شك تشمئز منها وتقاومها بعنف وقوة ، وهذا مايحدث لغيرك تماما ، فلا تفعل اذا بالغير مالا تريد ان يفعله الغير بك ، ولا تكل بكيلين ولا تزن بميزانين ، بل يفرض عليك الذوق السليم ان تكون منصفا مع الغير كما أنت منصف مع نفسك .

ويفرض علينا الذوق السليم ان نكون مهذبين في حديثنا أو في ثقافتنا مع الغير ، فأنت لا تستطيع ان تقنع الناس بصحة رأيك بالصراخ والزعيق ، بل تستطيع أن تقنعهم بالكلمة الرقيقة وبالرأي السديد ، فاذا كنت في مجلس وهنالك شخص يتحدث فلا تتكلم قبل ان ينتهي ، واصغي اليه بأدب وكياسة ، لأن من لايعرف كيف يصغي لايعرف كيف يتكلم ومتى انتهى فأبدأ أنت واحذر أن تجرحه بحديثك أو أن تسفه اراءه بشكل ناب بل حاول ان تقنعه ببراعتك في الحديث وبقوة أسلوبك ودقة ملاحظتك، ولا تنس ان النكتة الجميلة البريئة التي تلقى في موضعها لها قوة السحر في الاقناع ، وفكر دائما ان المناقشة ليست مبارزة في العضلات، بل هي مبارزة في الفهم فالذكاء وفي حسن الاسلوب وقوة الحجة والاداء ، والقاعدة الرئيسية هي ألا يكون حديثك مزعجا لغيرك أو ماسا بشعوره لأن هذا ينفر الناس منك ويبعدهم عن رأيك .

ويفرض علينا الذوق السليم الابتعاد عن ازعاج الناس بأي وسيلة كانت ، فالراديو مثلا هو نعمة من نعم العصر الحاضر ، ولكن عدم مراعاة قواعد الذوق السليم جعلت الناس يضجون منه ويشكون من تعكير راحتهم ، فان هذا الجهاز الذي توصل عقل الانسان الى اختراعه ، والذي ينقل الانباء من اقصى الدنيا الى اقصاها بلمحة خاطفة ، لم يوجد الا لاستعمالك الخاص ، أي لكي تسمع أنت وتفهم ، ولم يوجد لكي تفرض على غيرك الاستماع وتطلق المفتاح على عنانه بينما يكون الناس نياما فتعكر عليهم راحتهم وتحرمهم لذيذ الرقاد ، ففي اوربا ، على سبيل التشبيه لايوجد بيت الا وفي داخله جهاز لاقط ، ولكن الناس الذين يسيرون في الشارع لايسمعون أي صوت خارج من داخل هذه المنازل ، بينما تكون جميع الاجهزة مفتوحة ، ولكنها مفتوحة بشكل يسمع من في الداخل دون أن يسمع من خارج المنازل أي صوت للجهاز ، وهذه مبادىء بسيطة تعترضها قواعد الذوق السليم لأن هذا الجهاز هو للسماع في الداخل وليس لاطلاق الاصوات القوية الى الخارج ونشر الضوضاء في آذان الناس واقلاق راحتهم واثارة اعصابهم .

هذه اشياء ربما تراها بسيطة في نظرك ، ولكنها اشياء جد كبيرة في نظر الغير ، وهذه الاشياء التي تزعج الغير كثيرة لاعد لها ولا حصر ، ولكن كل انسان يعرضها بفطرته السليمة ، ولا يكلف الاقلاع عنها صاحبها شيئا ولا يضره بشيء ، ولا يطلب من الانسان في سبيل مراعاتها الا احترام قواعد الذوق والاحساس بان هنالك اناسا مثله لهم الحق بالراحة والطمأنينة، ولهم حق التذمر والشكوى ممن لايراعي قواعد الذوق واللياقة تجاه بقية أخوانه المواطنين .

واني لأعتقد ان مراعاة قواعد الذوق السليم في جميع

القصة

بقلم: وليد مدفعي

القصة القصيرة على مافي ولادتها من قلق وعدم استقرار فانها نفسها ليست فوضوية ولا شقية ..
ليس الحجم من هيكل القصة القصيرة، كما انه لايخصص انسانا ...
القصة القصيرة عملية اصطفاء تتناول وحدة زمنية متقاربة الابعاد ذات مناخ واضح ...

اما ان اتحدث جازما في موضوع القصة القصيرة، وان أحدد شروطا تعين منهجا خاصا بها، وان اضع تعريفا يقنن اسلوبها .. كلا فانني لا اسمح لنفسي ان تذهب خطوة في هذا المضمار لأن القصة القصيرة ذكية بارعة وذات انفتاح ارحب من ان يلمه زنار مطرز وان شمولها اوسع من أن يحده اطار مذهب .

تملك القصة القصيرة ناصية التعبير عن مواضيع عظيمة التعدد متمايزة التنوع بطوعية رشيقة، فلا يجاريها في تلك الليونة والسلاسة لون من الوان الادب حتى الشعر ابنه المدلل .. فهي قادرة على التسلل الى اعماق الحياة لتنتخب وتصطفي من مشاكلها لوحات جمالية أو افكار انتقادية او مفارقات ساخرة وانها في نتيجة ذلك تعرض لنا عيش الافراد بدقائقه وتلونه وكل مافيه من مسرة وحزن وانتقال .

ولا تقصر القصة القصيرة عن متابعة الجماعات خلال طورها فتلاحق التناقضات في التطور وما يضمه التطور أو ينتجه التناقض من نزوع وخلق وحركة .

ان امكانية القصة القصيرة عظيمة ولقد قدر لامكانيتها في مرات كثيرة انامل بارعة فاستطاعت الاقلام الرشيقة بين تلك الانامل ان تفجر عطاء القصة القصيرة حتى شغلت حيزا مرموقا في الآداب واصبحت ذات كيان وموقع ثابت..
لقد اصبحت القصة القصيرة في هذا العصر ملاحقة ومطلوبة.

ان المكان الذي شغلته الاقصوصة اليوم بين الآداب قد نالته بجدارتها وفرضته طبيعة العصر الذي نحيا فيه، فالاقصوصة تتلاءم كليا مع عامل السرعة الذي يعتبر المشترك الاعظم لاعمالنا اليومية، انها ابنة القرن العشرين وسليلة المدنية المترفة قد انتجتها قرائح في مخيلاتها ضجيج الدولاب المتحرك وفي ابصارها بريق المصابيح الدافئة انه انوار النيون القلقة أو اصداء الطائرات التي تصدت للصوت في سباق مع الزمن .

لكن القصة القصيرة على مافي ولادتها من قلق وعدم استقرار فانها نفسها ليست فوضوية ولا شيقة، لا يخجلها عرف ولا ترضخ تجاه النظام وكيف تفلت في غيها بعد ما خضعت ظواهر الطبيعة الجامحة الى الموازين وركنت ضمن انظمة وقوانين ثابتة .

قد يبدو بعض التناقض بين اعترافي بعدمية تحديد القصة القصيرة ثم حديثة عن خضوعها للمقاييس، انني لم أعن أكثر من كون الانسان مخيرا ومسيرا في آن واحد، فللقصة ان تحلق ما طاب لها في اجواء فسيحة سماواتها محدودة بالجاذبية الارضية ان تخطتها انملة سقطت هشيما لامقومات له

اعمالنا وتصرفاتنا هي واجب وطني تفرضه على الانسان غيرته على راحة مواطنيه وطمأنينتهم، وان تعكير راحة الناس وازعاجهم اشياء تضر بمصلحة المواطنين وبالتالي تضر الوطن نفسه، لأنها تتلف أعصاب الناس وتشوش تفكيرهم، ولا يخفاك ان الانسان الذي تتلف اعصابه يصبح كومة من حطام .

فنحن في حاجة ماسة لأن يطبق كل منا على نفسه قواعد الذوق السليم، يطبقها على نفسه في سيره وفي حديثه وفي علاقاته مع الغير، لأن تطبيقها ينشر في حياة كل منا جوا من المرح، ويبعث في نفس كل مواطن شعاعا من الضياء وتطبق قواعد الذوق السليم يرفع مستوى الحياة الاجتماعية بين الافراد والجماعات، ويجعل هذه الحياة اشبه مانكون بجنة باسقة الاغصان تغرد فيها البلابل وتشدو الحساسين .

رفيق المقدسي

نتساءل الآن ؟.. ماهي تلك المقاييس التي ان توفرت في اثر أدبي نطق الاثر عن قصة قصيرة كما تنطق أربعة خطوط متصالبة عن نافذة وليس في الخطوط من جمال النافذة خشب مدهون أو مطل أو زجاج ، وبتعبير آخر ماهو الهيكل الاساسي في القصة الذي سيحمل الوجه الجميل وينتصب على طوله القد المشيق .

يقول موزلي : « وعندي أن القصة القصيرة بحق ينبغي أن تتراوح في الطول بين الف وخمسمائة كلمة وعشرة آلاف كلمة » .

يحدد موزلي حجم القصةالقصيرة بعدد الكلمات ويحددها آخرون بمدة القراءة بامعان . ولكني اقف من التحديدين موقف الساخرالمستهزىء ، فلا مدة القراءة التي تختلف بين امعان قارىء وهدوء قارىء آخر ولا عدد الكلمات يمكن أن يقيم قصة قصيرة فاختصار الف ليلة وليلة لن ينتج قصة قصيرة واضافة مقاطع الى حارس البستان من الادب الطفولي في القراءة والدارجة لن ينتج قصة قصيرة أيضا وان اخفاق أية قصة قصيرة عن بلوغ الحد الادنى للكلمات كما وضعه موزلي ليس مهما في نقد القصة .

فليس الحجم من هيكل القصة القصيرة كما ان الحجم لا يخصص انسانا فلانسان الذي يعيش في خط الاستواء بضخامة جسده وانسان الذي يعيش في القطب الشمالي بضآلة قامته .

وان من التعاريف الكثيرة التي وضعت من أجل القصة القصيرة في سبيل تجسيدها ماقيل « ان القصة القصيرة قطاع من حياة انسان » . ولدى تحليل هذا التعريف نرى انه اعتبر القصة القصيرة فسحة زمنية محدودة بالقطاع وخص الانسان بها وحده دون ان يعين نوعية القطاع .

لقد اصاب هذا التعريف في الوصول الى ملامح القصة الاخيرة لكنه ظل قاصرا عن الاحاطة بها في شمول مطلق فبقي القطاع مجهولا دون خصائص تميزه فقد يكون قطاعا غير مركز وآنئذ اما ان تكون الفسحة الزمنية عادية فارغة أو انها فسحة مشوشة مضطربة . ان اختصار الاجهزة المعقدة بقطاع يوضح آليتها طريقة علمية متبعة ومن الوسائل المعتمد عليها في تسهيل الدراسة لكن القطاع المطلوب في كل دراسة قطاع مميز عن غيره من القطاعات بانه وحده يقدم الجهاز مختصرا ولا يشرك اجزاء من اجهزة مجاورة أي انه قطاع اصطفائي منتخب .

ولقد خص التعريف الانسان وحده ولكن القصة القصيرة في انفلاتها في الوجود يمكن ان تحس النبضة الحية في أي جزء من اجزائه فتقدم لنا قطاعان من الموجودات ذات احساس وذات حركة فتتعدى التعريف السابق الى امكانيات ابعد مدى ثم انها قد ترى الانسان نفسه في وحدة مع الوجود فاعلا ومنفعلا . فتقيم علاقات خيالية لكنها ذات صبغة واقعية بما تحمله من استنتاجات الفكر نفسه .

ولعل الفسحة الزمنية المحدودة بالقطاع وحدها كانت من مقومات القصة القصيرة لأنها حددت بوضوح بالقطاع فمن مميزات القصة القصيرة عامل الزمن الذي يجب أن يظل متماسكا دون انقطاعات واسعة واما أن تمتد القصة القصيرة على مصافات زمنية بعيدة المدى فان ذلك يفترض تطورا ضمنيا اصاب الافراد وغير من طبيعة افكارهم وبدل من ردود افعالهم واكسبهم خبرات جديدة وسمات مختلفة.

ان القصة القصيرة في عبارة موجزة وليست كلية ــ متابعة خط ثابت بين نقطتين ــ وأما الزمن فانه عامل تطوير قوي فيجب ان تضغط الزمن حتى لايغير من طبيعة الحادثة . وبقدر ما تتوضح معالم القصة القصيرة في منطقيتها .

أما ما يتحدث به بعض كتاب القصة القصيرة من حديث يتناول الحاضر ثم يعود عشر سنوات موغلا في الماضي ثم يثب خمس سنوات فانه تشويش وابتعاد عن القصة القصيرة، وأقرب ما يكون الى تلخيص قصة طويلة بعدد ضئيل من الكلمات وما أكثر هؤلاء الذين يهملون عامل الزمن ويكتبون « وقال البطل بعد أربع سنوات كذا وكذا ... الى آخره » فتأتي قصصهم مسخا مشوها لقصة طويلة لكنها ليست أقصوصة بأية حال .

ان الزمن بالنسبة للقصة كالوعاء الذي يلم التحف النادرة فما أحرى بهذا الوعاء أن يكون قصيرا لينسجم مع محتوياته ولا يظهر فيه فراغ يسيء الى وحدة الانموذج المقدم .

لقد تعرضت خلال مناقشة الزمن الى عدد من التعابير « أي أنه قطاع اصطفائي منتخب » وقلت « متابعة خط ثابت بين نقطتين » .

وأقول الآن ان املاء الوعاء الزمني في القصة القصيرة

يحتاج الى عملية اصطفاء دقيقة تنتخب نواة تضعها في الوعاء ولا تحدد النواة بنوعية خاصة انها نواة حياتية يمكن أن تكون حادثة مفردة مثيرة أو ملفتة للنظر مشتركة بين أكثر من مقوم واحد أو يمكن أن تكون مقوما وحيدا منفعلا من مؤثر واحد أو من عدة مؤثرات متشابهة في الايقاع والتوتر •

فوحدة الحادثة أمر ضروري في اكتمال هيئة القصة القصيرة •• أما التعرض في الوعاء الزمني الى حوادث متعددة متشابكة بقصد الاثارة والضجيج فنه ينفي عن الاقصوصة واقعيتها • وكذلك استعمال مؤثرات متعددة ليست متناسقة • فالقصة القصيرة مرتبطة كليا بعملية الاصطفاء والانتخاب التي يجب أن تكون من الدقة بحيث لا تتابع الا خطأ ثابتا قد يلتوي ويشتبك منتجا مغالطات أو مفارقات أو عقدة صغيرة أو يمتد طوال القصة سلسا بين البداية والنهاية اللتين ليستا سوى بداية ونهاية الحادثة نفسها أو المؤثر •

ان اعطاء مناخ الوعاء الزمني في القصة القصيرة يأتي في الاهمية تاليا فليس المناخ من المقومات الاولى لكنه عنصر فعال في ابراز الحادثة مرتبطة مع المكان الذي جرت فيه ولا سيما عندما تكون الحادثة ذات صلة مباشرة بالمناخ أو يكون نفسه المؤثر والمثير لردود الافعال المتشابهة ، كالسأم الذي يصيب الموجودين في القطار من حركته الرتيبة عندما يطول الطريق •

سأحاول الآن أن أعرض ماهية القصة القصيرة بناء على ما تقدم فأقول :

« انها عملية اصطفاء تتناول وحدة زمنية متقاربة الابعاد ذات مناخ واضح » •

لقد رأينا القصة القصيرة مقومات وهيكلا أساسيا لا يزال في حاجة الى الصقل والى براعة الفنان لالباسه الاثواب القشيبة •

وتأتي في طليعة عمليات الصقل ما يمكن أن ندعوه بالاغناء ، ان النواة التي وضعت في الوعاء الزمني بحاجة الى انارة ولا تتم هذه الانارة الا بواسطة جملة الافكار والصور التي تساق كلها كبراهين على منطقية الحادثة وعفويتها أو منطقية ردود الافعال وعفويتها أيضا •

وتحتاج عملية الاغناء هذه الى اصطفاء دقيق لا يورد الا ما كان من طبيعة النواة الاساسية فلا يأتي بملاحظات جانبية لا تخدم السياق العام والا فان عملية الاغناء تبقى فقيرة ولو أورد الكاتب صورا محشودة وأفكارا مزدحمة •

ومن الملاحظات الدقيقة خلال عملية الاغناء ابقاء النواة الاساسية في البؤرة الضوئية وعدم زحزحتها بوضع بعض ملاحظات الاغناء في مكانها لان ذلك يؤدي الى تهشيم القصة القصيرة لادخال عنصرين رئيسيين يتزاحمان الوعاء الزمني ولعل الانتباه الى هذا الامر ضروري جدا ، فكم غابت بداية قصة وراء قصة تالية خرجت بعد فترة زمنية من بين السطور وأصبحت محور القصة بعدما كان مفروضا أنها تالية بالنسبة لمطلع القصة القصيرة •

أنتقل الآن خطوة ثانية في عمليات الصقل فأجد الاسلوب أمرا هاما ، فمن الاساليب ما يعتمد على التداعي عند تقديم القصة القصيرة ومن الاساليب ما يتبع طريقة السرد ويضمنه حوارا متبادلا •

ان استعمال طريقة التداعي في تقديم القصة القصيرة يحتاج الى مهارة فائقة لان جمال التداعي مرتبط بعفويته وقلما يستطيع صاحب التجربة أن يراقب عملية التداعي العفوية لان ذلك ايقاف للعملية نفسها • أما طريقة السرد فهي أقل صعوبة وآمن انزلاقا في مهاوي الافتعال ، وعلى كل حال فان استعمال أحد الاسلوبين أو الاثنين معا مما يعود الى مراس الكاتب نفسه والى الخطة التي اختطها لنفسه وان المفاضلة بين الاسلوبين ليس صحيحا الا بمقدار ما أجاد الكاتب في استعماله لهذا الاسلوب أو ذاك •

يبقى أخيرا في عمليات الصقل قضية الالفاظ المنتقاة • وأستطيع أن أشدد في هذه الناحية على قضية مدلول اللفظة وصحة استعمالها في سياق الصورة التي هدف لها الكاتب ، فاختيار اللفظة المناسبة للتعبير وحده قادر على افهام القارىء قيمة الاثر الادبي الذي بين يديه وهو وحده قادر على ترجمة الافكار ونقل الاحاسيس بأمانة الى الآخرين •

لقد انتهيت من الكلام عن المقاييس والمقومات والصقل ولكني لا أجد بدا من الاعتراف في نهاية البحث أن هذا المقال ليس سوى عملية تجريد للقصص القصيرة الشهيرة في العالم • وأنني مؤمن في الوقت ذاته أن مقاييس الانسان متبدلة لا تقف عند حد وأن الابداع غير ملزم بالمقاييس السابقة • وكذلك فان القصة القصيرة الاجمل والاكمل لم تكتب بعد وقد تأتي محطمة للمقاييس السابقة وخلاقة لمقاييس جديدة لم تخطر ببال حتى الآن •

انه ليس مستحيلا أن تقف فتاة متحدية مقاييس الجمال وتفوز بلقب أجمل فتاة في العالم •

دمشق — **وليد مدفعي**

الهارب من المعركة

كان العدو قد انتزع منا المنطقة الغربية حتى البحر وكانت وكانت مآسي الصفصاف والجشي وميرون في الشرق لاتزال مائلة في الاذهان تملأ النفوس أسى والقلوب لوعة.. وأصر والدي ، رغم الطوق المحكم الذي ضربه علينا العدو ان لانسحب من دون معركة .

وكانت المعركة ، وانسحب بعض الرجال الى الحدود القريبة ليودعوا الاطفال والنساء في مأمن وبقيت بقية منا تدافع عن القرية طوال الليل حتى وصلنا مع الفجر من يطمئنا على وصول الاطفال والنساء الى منطقة الحدود ، وينبهنا الى ضرورة الانسحاب بعد أن احتل العدو الثغرة الاخيرة التي كنا نأمل أن نجد منها مخرجا . ووقف الرجال بعيون جافه لاتبللها قطرة دمع ، فقد كان الوطن المحتضر قد تأكد موته . ويقولون في قريتنا ان الدموع تجف حال انفصال الروح عن الجسد . في لحظة الانفصال الرهيب لم يرق أشد حساسية دمعة واحدة . ولا أريد أن أشير الى ذلك لأوحي بموقف شجاع فقد كنا جبناء كالآخرين . فالانسحاب نوع من المساومة ولا يساوم على البيوت التي تمخضت فيها الامهات الا جبان .

وقفنا في حلقه كبيرة ، صامتين كالموت ، حتي قام اشدنا شجاعة وقال : « أنا رايح يا جماعة » .

وسخر القدر من الجبن يتقمص شكل الشجاعة والهرب يظهر بمظهر الاقدام وكادت دموع كثيرة تقفز من المحاجر ولكن الشهيد كان قد تأكد موته فلا جدوي من دمع ولا فائدة في تحسر .

وتشجع آخر فانسحب ، وحث الرفاق بعضهم البعض ومرت دقائق كنت بعدها وأخي نقف في القرية وحيدين نرتجف من فكرة الفراغ الذي يكتنفه الموت .واستدرت على نفسي أكثر من مرة لأرطب بالخضرة الرائعة عيني الجافتين . قلت لأخي « والآن . ها قد أتى الدور » .ولويت عنقي بذلة واتجهت نحو الشمال .

وعندما التفت الى الوراء كان أخي المسكين يحدق في ظهري تحديقة ملأتني رعبا . كان ينظر الي نظرة لا ترى في اعماقها غير الموت . وتحركت شفتاه بعد صمت يزيد من وطأة الفراغ « حسنا ، أما أنا فباق » وعاد فصمت كالحجر من خلفه، فأثار في نفسي ألوانا من الحقد: حقدت على نفسي كما حقدت على الذين انسحبوا من قبلي . وبدأت أشعر بحقد كريم على أخي نفسه نساؤنا تنتظر على الحدود الشمالية وصغارنا جائعون ، وقرى منطقتنا خاوية خاليه من كل حياة وهو يصر على أن يبقى .. وكأنما الموقف كان أعنف من أن تحتمله نفس كنفسي ، فأنا في حيرة من أمري كان باب الاختيار لا يزال مفتوحا أمامي ولكنني شعرت بانني اجبن من أن أختار .

وكأنما ادرك أخي مادار في خلدي فقال بقهقهة باكية « لقد أبعدنا الصغار لنتفرغ للمعركة ، فعلام الانسحاب ؟ أخي ! لن أغادر هذا المكان حتى الموت . أما انت يا أخي فعليك أن تذهب لأن امنا العجوز واخواتنا الصغيرات سيحتجن الى أحدنا على الاقل . وأما أنا فانني اعاهدك ... اعاهدك بمحبة التراب الذي غبر وجوهنا صغارا . اعاهدك أن أكون شجاعا .

وشدهت من موقف أخي بعد أن أدركت انه لن يترك المكان مهما حاولت .. وقال وعلى وجهة مسحة من غبار الموت ..

« أسرع يا أخي ، اما أنا فسأتخذ لي مركزا تحت الجميزة الكبيرة ، أعني المركز الذي انسحب منه الجنود فهو لايزال في حالة حسنة . أنني آمل أن يحتل جنودنا القرية ، والا فاعلم انني سأموت تحت الجميزة الكبيرة التي اوصانا بها أبوك ، فاذا عدتم يوما فأقيموا لي قبرا في ظلها الكبير ودع الاخوات الصغيرات يزينه بازهار الزيزفون البيضاء ولتذكر للاهل دوما أن صاحب القبر مات دفاعا عن الارض فاثبت حقهم فيها .

وابتسم أخي ابتسامة الوداع ونظر في اتجاه مراكز العدو بتحد . ثم اتجه نحو الجميزة الكبيرة ... ومرت دقائق كنت بعدها أتعثر وحيدا في الطريق الوعر على آثار من سبقني من المنسحبين .

وعندما كنت أجتاز « خلة » الصفصاف التي يتردد فيها صدى الاصوات كما في بناء أثري قديم ، انطلق من قريتنا الرصاص ونشبت المعركة بينه وبينهم . وتسمرت قدماي في الارض وخيل الي أنني أسمع صدى صوت أخي يردد :

« تحت الجميزة... لا تنس أزهار الزيزفون البيضاء » .

وألح الصدى الصامت على أذني فارتجفت له أوصالي . هل مات أخي حتى تلاحقني روحه بلعنة وخز الضمير ؟ هل أصيب برصاصة قاتلة فخر تحت الجميزة الكبيرة ومات محافظا على العهد ..

وخفت صوت الرصاص حتى انقطع ولكن الصدى العميق كان يملأ علي احساساتي جميعا .. « تحت الجميزة . لا تنس أزهار الزيزفون البيضاء » .

وشعرت بأن خيوطا تصل بين صدغي تتمزق . كان باب الخيار لا يزال مفتوحا ، كانت قوة الموت تشدني الى الوراء المفروش بالزهور . وكان حب الحياة يلكزني الى الامام المغروس بالاشواك . الى حيث أمي وأخواتي ... الى حيث الاسى والذلة . وفجأة أز صوت رصاصة الى جانب أذني وانفجرت رصاصة « دمدم » على الحجارة الرجوم أمامي . واستطاعت الرصاصة أن تدفعني في الاتجاه الذي أرادت فانبطحت على الارض وزحفت بصعوبة حتى بلغت ثنية في الوعر فاحتميت وراءها وبدأت أجري في اتجاه قرية « ر » التي تقع وراء الحدود والتي كانت لا تبعد أكثر من كيلومترات ثلاثة .

★

قد يذكر الناس قيظ صيف ١٩٤٨ وشدة جفافه وقد لا يذكرون أما أنا فلن أنس شمس آب المحرقة التي قاسيت تحتها على طول الطريق الوعر من الجليل الى قرية « ر » كانت المنطقة عطشى جافة ، وكانت ينابيعها الصغيرة قد نضبت مياهها . وبات الناس في رهبة من الظمأ حتى لقد ضن الانسان بشربة الماء على أخيه الانسان ... وكنت أسير ببطء وأنا أحس بأنني على وشك السقوط من الاعياء ، وكأن شيئا ما كان يسيل في دماغي تحت وطأة حرارة الشمس ، وكان حلقي جافا كرجوم المنطقة وكانت بندقيتي التي تنكبتها طوال الطريق تزيد في ازعاجي . لقد فكرت بالقائها في الطريق أكثر من مرة ولكنني لم أستطع ذلك رغم معرفتي الاكيدة بأنني سأسلمها مرغما وبدون مقابل . ودخلت القرية وأنا أمني النفس بشربة ماء ترطب حلقي وتروي ظمئي . انني لأعجب بعد تلك التجربة كيف استطاعت شربة الماء أن تصبح أمنيتي الاولى في مثل ذلك الظرف اليائس ...

أسرعت الى أول باب وقعت عليه عيناي وطرقته بكلتا يدي حتى فتحته عجوز صفقت الباب في وجهي وتركتني وحيدا عندما فهمت ما أردت .

قلت في سري « مجنونة » ولكن ذلك التبرير السخيف لم يستطع أن يمحو من مخيلتي صورة العين التي برزت فجأة بمياهها العذبة تنساب تحت الجميزة الكبيرة فبعثت في قلبي شعورا غامضا بالندامة التي لا يمازجها أي نوع من أنواع الالم . لم أتألم لنفسي لان ظمئي الى البقاء كان يطغى على كل شعور آخر . ولم أتألم لذكرى أخي لانه كان يملك من الكرامة والماء أضعاف أضعاف ما أحلم به . الا أن صورة أخي بدأت تضغط على الصور الاخرى المزدحمة في رأسي ... بينما اندفعت في زقاق من أزقة القرية والصدى يكرر في أذني « لن أترك هذا المكان » وصورة عين الماء المنسابة تحت قدميه سخية كتربة الوطن من حولها تسد على عيني كل اتجاه كالسراب المجنون ... ووعيت على نفسي فوجدتني أسير كاسف البال كأي متسول ينسحب بذلة اذا ما بخسته أو ضنت عليه بالكسرة أو بشربة الماء .

« انها مجنونة ، ولكن ! هل بدأت أدفع الثمن يا ترى ؟ هل بدأت أصبح متسولا حقا ؟ لا . لا . انها شربة ماء ولا داعي لكل هذا التشاؤم » .

واندفعت بكل ما بقي لدي من قوة الى الباب الثاني . لم أكن أطمع هذه المرة في أن أشرب وحسب . انما بدأت أريد أن أزيح عن صدري كابوسا كاد يقتلني . انني لم أرد أن أتصور نفسي متسولا يطرد عن الابواب . لقد تقت الى أن يستقبلني أحدهم بصدر رحب فيدعوني الى بيته ويسقيني الماء بسخاء لا بل ويقدم لي القهوة مثلا أو الشاي . لقد أردت أن يشعرني الناس بانسانيتي من جديد « الله ! ما هذا التفكير ؟ هل بدأت أنهار ؟ » .

ورد علي صوت من البيت الثاني اعتذر عن عدم وجود الماء ، وكانت صدمة لم أتوقعها أبدا • أما صورة الباب الثالث فقد كانت كصورة العدو وهو يقترب منك صامدا كالعملاق وأنت تزحف نحوه مدمى الركبتين وتصر على الزحف رغم التردد الـذي يشدك الى الوراء ، تصر بجبن أن تزحف نحوه ، حتى لا تموت ميتة الجبان ، وقلبك يرتجف من هول ركلة الحذاء الكبير التي تنتظر وجهك المغبر • في مثل هذه اللحظة لا يخير الانسان في انتقاء مصيره ولا يعرف أي قوى خيرة أو شريرة تسيره دون أن تأبه برغبة له أو ارادة •

وطرقت الباب الثالث فكانت يدي تهوي عليه بآلية مجنونة وكان قلبي يرتعش لسماع دقات الباب وكأنها دقات ناقوس يعلن عن نهاية ذلك القلب • وقبل أن أنهر للمرة الثالثة طويت ذنبي بين ساقي كحيوان خائف وانسللت الى خارج بيوت القرية لأموت ظمأ كما يموت الحيوان المسكين في قرية لا يعطف عليه فيها انسان • وبعد قليل وجدت نفسي أتعثر في طريقي الى مجموعة من الاشجار دونما سراب يبعث في القدرة على القيام بأي عمل •

عندئذ • وعندئذ فقط انزلقت على وجهي المغبر دمعة لم تنزل من قبل • « فيا لحقارة الانسان ويا لضعف النفس البشرية » • عندئذ بدا صوت مياه العين يهدر في أذني هدير البحر • وعلى صفحة السماء الزرقاء التي بدأت تميل الى السواد ارتسمت صورة مياه العين تنساب بين الصخور حتى تجتاز منطقة الظل الجميلة تحت الجميزة الكبيرة • وفي حلقات باهتة اللون رأيت أكثر من صورة ، ومن احدى الحلقات برزت صورة أخي مضرجا بدم طاهر حار لم تخالطه مهانة ولم يمازجه ماء من مال الناس •

« لا تنس الجميزة ••• »

واتسعت الحلقات ••• وتكاثف الضباب الـذي غشى بصري •

وازداد هدير العين حتى انه لم يعد محتملا •

واسودت زرقة السماء في عيني بسرعة صاعقة •

وشعرت بأن مفاصلي تنطوي تحتي كأدوات خربة •••

أو كأنما ألقى بي أحدهم في هوة سحيقة •••

★

عندما أفقت من اغماءتي كان الليل قد بدأ يسدل أستاره السوداء على العالم • وبعد أن أجلت بصري فيما حولي أدركت أول ما أدركت جفاف حلقي ، وبدأت أفكر بالماء من جديد • وهكذا فانني لم أهتم بأمر بندقيتي التي لم أجدها حيث وجدت نفسي • ولم أناقش في فكري أو أهتم بأمر من أخذها وكيف أخذها ولماذا • كان الليل يهبط ببطء خانق ويدثر الارض بظلمة مقيتة تخفف من حرارة النهار ببرودة كبرودة الموت •

قمت متعثرا بأطرافي عندما سمعت صوت أقدام تقترب من مكاني ، وعلى مسافة قريبة لمحت شبح امرأة تقترب في الظلام وهي تحمل في يدها دلوا صغيرا وتثبت على رأسها جرة من الفخار • اقتربت المرأة نحو مكان خمنت أنه بئر يغطيه باب حديدي ، وبدأت أتصور الماء وهو ينساب بعد قليل من بين أصابعها فتنبعث منه موسيقى تعيد الى نفسي الجافة الحياة •• فزحفت ببطء ولطيت الى جذع شجرة قريبة من مكان المرأة •

لقد بدأت أعي كل شيء من حولي، وشعرت بأنني أحاول أن أفكر ببعض ما مر بي في ذلك اليوم ولكن قوة داخلية أو قل ضعفا داخليا كان لا يريدني أن أفكر بشيء ، كانت غريزة حب البقاء ، وهي غالبا ما تشكل مركبات الضعف في نفس الانسان ، أقوى محرك يسير حياتي • حتى جعلت مشاعري جميعا تتركز حول قطرة الماء •••

وقفت الفلاحة فوق البئر وأدارت رأسها الى أكثر من جهة لتطمئن الى عدم وجود أي متطفل في المكان ثم أخرجت من دكتها مفتاحا أدارته في قفل البئر، ثم رفعت الغطاء ورفعت الماء بدلوها الصغير وصبته في جرتها فانبعثت من الماء رائحة الحياة على شكل موسيقى رائعة ، وعادت المرأة فأدلت دلوها في البئر وبدأت تنتر الحبل وتدفعه كي يمتلىء الدلو من البئر القليل الماء •

ووجدت الفرصة مواتية فركضت دون أن أعي ، جريت حتى قبضت على الجرة بكلتا يدي ورفعتها الى فمي بقوة مفترسة ، ورغم جميع مسبات الفلاحة ولطماتها فقد شربت من الجرة حتى ارتويت وأرقت ما بقي فيها من الماء على وجهي وصدري •

ولكن المرأة لم تهادنني مطلقا ، فقد استمر سيل كلماتها يلسعني كالسياط فيبعث برودة الخزي في وجنتي وجبهتي • ويثير في ذهني ذكريات قريبة • كان صدى ما يتدفق من

الكـــــــنز

— قصة بقلم زكريا تامر —

كان أحمد رجلا طويل القامة هزيلها ، يعيش وحده بلا زوجة في منزل صغير ذى حديقة جميلة .. وردها حلم منذ ولادته بأن تقطفه يد امرأة ، ولم يذق في أية مرة طعم الندى المنهمر من ضحكة ناعمة تنفلت كآهة ثملة من بين شفتي امرأة طرية اللحم .

واستفاق أحمد في صباح يوم من الايام على رنين جرس الباب ، فدهش وقال لنفسه باستغراب :

— من القادم ياترى ؟

ونهض من سريره بتثاقل ، واتجه نحو الباب وفتحه وهو يتثاءب فوجد قبالته رجلا هرما له لحية بيضاء وعينان رماديتان تتألق في غوريهما قسوة ممتزجة بحنان أطفال .

قال الرجل الهرم الغريب :

— أنا الشيخ عبدو .

فسعل أحمد سعلة جافة قصيرة ، ولعن في سره السجائر بينما أردف الشيخ عبدو قائلا :

— هل تسمح لي بالدخول ؟.

وتساءل أحمد : ماذا يريد هذا المهتريء في هذا الوقت المبكر ؟

وقال الشيخ عبدو أثر جلوسه على مقعد خشبي في غرفة أحمــد :

— اسمي الشيخ عبدو .. مهنتي البحث عن الكنوز .

فأطلت من عيني أحمد نظرة متعجبة وقال :

— كنوز ؟

فابتسم الشيخ عبدو وقال بصوت كله ثقة واعتداد :

— العالم يا ولدي مليء بالكنوز المختبئة التي تنتظر من يعثر عليها ..

ولعلك تتساءل عن علاقة هذا الكلام بك .. أني سأقول لك باختصار .. ان في حديقتك كنزا مدفونا .. مكانــه بالضبط تحت شجرة الليمون .. سنحفر هناك .. وسنعثر على جرتين مليئتين بالذهب .. أنت خذ الذهب واعطني فقط الجرتين الفارغتين .. مارأيك ؟

ولم يجب أحمد بكلمة انما حملق مذهولا في وجه الشيخ عبدو .. يااربي هل هذا حلم ؟ هل سأصبح غنيا ؟ ألن أجوع؟

وقال الشيخ عبدو بلهجة آمرة :

— هيا .. أحضر معولا ورفشا .

وبعد دقائق ابتدأ أحمد يحفر الارض تحت شــجرة الليمون بينما جلس الشيخ عبدو يدمدم بكلمات غيرمفهومة.

وتوقف أحمد عن الحفر بعد فترة من الزمن ليمســح العرق المتصبب من جبهته ، فقال له الشيخ عبدو وهو يمد يده نحوه :

— خذ هذه القنينة .. شرابها منعش للغاية .

وأفرغ أحمد في جوفه السائل الذي تحتويه القنينة ،ولم

الحدود ، التي أصبحت ورائي ، يتدفق كالمطارق الحامية فلا يثير في الا شعورا بالحطة والحقد ، واحساسا بالحسد يأكل قلبي لقد بدأت أحسد أخي الذي بقي يعب من مياه العين حتى النهاية .

واختلطت الصور في ذهني مرة أخرى : أمي ، وأخواتي الصغيرات، العطش، وعين الماء، الجميزة وأزهار الزيزفون ، ودم أخي الزكي ينساب على الارض حارا كالحياة ...

ولم أع الا وأنا أشد نفسي من تحت وطأة مسبات الفلاحة وأجرر قدمي المشدودتين الى الارض بأطنان الرصاص لأدخل في ظلمة ليل طويل الى حيث لا أدري .

ومن الامام كان صوت الصغار الظامئين يهتف مبحوحا في أذني يريد الحياة . ومن الخلف كان صدى عميق ملحاح كأنه ينبعث من ذمة التاريخ يهتف بي بصوت أجش .

« لا تنس الجميزة والقبر وأزهار الزيزفون البيضاء . لا تنس الجميزة والقبر وأزهار الزيزفون البيضاء . لا تنس الجميزة ..... »

منير سويد

تمض سوى لحظات حتى أحس بأن شيئا ما قد انفصل عنه ليكون وحده مخلوقا آخر يحب التشرد في أزقة العالم •• وله أيضا اسم أحمد •

وهكذا كان أحمد يحفر باحثا عن الذهب بينما كان أحمد الثاني ينطلق عبر العالم ليعيش كما يشتهي •• دخل الى خمارة وجلس وراء طاولة منزوية ترامت عليها أضواء شاحبة وأخذ يحتسي كأسا من النبيذ العتيق ، وتجيء امرأة وتقعد لصقه وتتناول كأسه وترفعه الى شفتيها وتقول :

ـ أنا أحب النبيذ والرجال •

فيقول لها أحمد :

ـ أنا لا أحب الا الذهب •

فتقول المرأة : لا تغضب •• أنا أيضا لا أحب الا الذهب •

فيقول أحمد : أنا أريد أن أكون الرجل الوحيد الذي يحب الذهب بجنون أما بقية الناس فأريدهم أن يكونوا مجرد بلهاء ينتظرون ببلادة خبزهم وموتهم وساعة نومهم •• سأصنع امرأة من ذهب وسأحبها بضراوة •

وكان أحمد الاول مازال يحفر ، وبقربه الشيخ عبدو ويدمدم بكلمات غامضة وحشية الايقاع •• أما أحمد الآخر الافاق القديم فقد كان في تلك اللحظة يغادر الخمارة غاضبا ، ويمشي على اسمنت رصيف مطل على بحر كبير ، وينصت بذهول الى هدير الموج فيتذكر أيام كان سمكة ضئيلة ذات الوان براقة •• تغوص في اعماق المياه المظلمة لحظة تسمع صوت شبكة الصياد ترتمي من أعلى مقتربة من مكانها •• سمكة شاهدت مولد أول نجمة في الفراغ الاسود الكثيف •

وقال الشيخ عبدو :

ـ احفر يا أحمد •• أحفر •• سنجد الذهب وسنحيا سعداء •

وكان أحمد الثاني يسير آنذاك متأبطا ذراع صديق يشتم العالم ويقول :

ـ هرون الرشيد ملك •

فيجيبه أحمد :

ـ وزيره جعفر وزوجته امرأة جميلة جدا اسمها :زبيدة

فيقول الصديق :

ـ اسمك يامولاي مسرور الجلاد الذي يقطع الرؤوس بسهولة •

فيقول أحمد بغضب :

ـ أتشتمني •• هل أنا جلاد ؟

ويستل أحمد من جيبه مدية ويطعن بها صدر صديقه طعنة قاسية فيصرخ الصديق بذعر :

ـ ستقتلني •

فيصيح أحمد بينما هو مستمر على طعنه :

ـ سأجعل من جثتك غربالا •

فيتمتم الصديق بصوت واهن وهو يتهاوى على الارض :

ـ قتلتني •• أنا أخوك الصغير الذي هربت منه طفولته•

فيرتمي أحمد على الجثة التي فقدت صوتها حتى الابد وينتحب كمومس معدتها بلا خبز •

وقال الشيخ عبدو :

ـ أحفر يا أحمد •• ان وجه الذهب جميل للغاية ، هو وحده شمس تضيء القلب المظلم الذي حولته التعاسة الى ليل أبدي السواد •

وظل أحمد يحفر بحركات سريعة رتيبة بينما شوقه للذهب ينمو كقطيع من السحب السوداء المتراكضة على صفحة سماء مضاءة ببقايا من نور أصفر متوهج •

وقال أحمد الآخر الافاق لفتاة أبصرها تقف أمام واجهة محل لبيع الاسطوانات :

ـ جسدك أغنية من لهب •• عشقتها قبل أن أولد •

فقالت الفتاة بخجل :

ـ كيف تجرؤ على التكلم معي •• ابتعد •• سيضربك أبي ان شاهدك وأنت تحدثني •

قال أحمد : أبوك ميت •

قالت الفتاة : سيضربك أخي •

قال أحمد : أخوك ميت •• أمك ميتة •• كل الناس ماتوا •• ولم يبق سوانا في العالم •• ستعيشين معي امرأة سعيدة لن تنجب اطفالا •

قالت الفتاة :

ـ أنت أعمى •• أين عيناك •• مازال جميع الناس أحياء •

فاستولى على أحمد يأس مرير دفعه لأن يركض نحو البحر وهو يقول لنفسه :

ـ سأرجع الى البحر سمكة ضئيلة جميلة الالوان .

وارتجفت احضان البحر وهي تتلقف جسد أحمد الذي يحب التشرد في أزقة العالم .. وفي تلك اللحظة انسلت من التراب أفعى التفت حول ساق أحمد الآخر الذي كان منهمكا في الحفر ، فصاح بهلع :

ـ ياشيخ عبدو .. لدغتني الافعى .. سأموت ...اسرع .. احضر الطبيب .. لاتهرب .. أوه .. لقد عرفتك .. لقد كنت مختبئا خلف الاعوام الكثيرة العدد .. أنت ..

ولم يكمل أحمد جملته اذ أحس بيد تلمس جلد جبينه بحنو ، وسمع صوتا يقول شيئا ما ، ففتح عينيه فوجد جسده ملقى على سرير في غرفة جدرانها بيضاء ، وبقربه كان يقف رجل وامرأة يرتديان ثيابا بيضاء ، وكان للرجل عينان رماديتان متألقتان خلف نظارة رقيقة الزجاج .

قال أحمد بصوت خفيض : ما الذي أتى بي الى هنا ؟

قال الرجل : أنت بخير .. لاتنزعج .. صدمتك سيارة اثناء عبورك الشارع .

فتطلع أحمد الى المرأة بحيرة ، فابتسمت له ابتسامة جذابة منحت وجهها الوسيم فتنة عارمة وقالت :

ـ اطمئن .. ستكون بعد أيام قويا كالحصان .

فاغمض أحمد عينيه بينما ترامى الى مسمعه ضجيج المدينة المتسرب من نافذة الغرفة المطلة على الشارع ، وتبددت العتمة المخيمة في رأسه ، وتذكر تلك اللحظة التي تكثفت فيها حوادث صغيرة تتابعت في سرعة مخيفة .. بوق سيارة .. صرير فرامل .. صدمة قاسية في ظهره .. فانكفأ على وجهه مطلقا صرخة ألم قبل أن يزحف السواد الى عينيه .

وابتسم أحمد بمرارة .. اذن لن يصنع امرأة من ذهب .. وسيغادر المستشفى بعد أيام قليلة قويا كالحصان .. وسيرجع الى أزقة مدينته رجلا حزينا بلا حبيبة وبلا عمل .. وقد تأتي لحظة جوع .. ميت فجرها .. فتجبره على أن يأكل عينيه بشراهة بدلا من الخبز المفقود .

دمشق ـ زكريا تامر

الشعب الطيب

- بقلم بدر الدين الحاضري -

كنت فيما مضى لا أحفل كثيرا بما يصفني به زملائي ، وما يطلقونه علي من شائعات تتناول عقيدتي في بعض الاحيان، ولكن الحال اليوم تغيرت، وأخذت أعير رأيهم اهتمامي البالغ • فقد أدركت - بعد فوات الوقت - أنني أتأثر بهم ، وان كنت لا ألمح أثري فيهم •

كنت كافرا بكل القيم والمقدسات التي يعتنقونها ، أنظر الى جموع الشعب الطيب ، نظرة استعلاء وازدراء ، ولا زلت حتى الآن أنظر اليهم هذه النظرة نفسها ، وان خفف الزمن من حدتها فكساها استخذاء تظنني معه أحد المؤمنين الصادقين •

ان أصدقائي وزملائي لا يصدقون ايماني الجديد ، فهم واثقون من كفري والحادي ، بل ويذكرونني مثلا ، حين يودون التسلية ، على ما يمكن أن يفعل الزنادقة والملحدون، وقد يرددون عباراتي التي كنت أرسلها ذات اليمين وذات الشمال ، ويأتون بطرف من حياتي •

لقد اشترطت على زوجتي ، أن تنظف عقلها من كل معتقد قديم ، وأن لا تؤمن بشيء - أي شيء - فهو سخيف ، واستطعت أن أجعل منها صورة طبق الاصل عني ، تتندر بالمتدينين ، وتهزأ بأرباب الشعائر ، حتى بات صعبا عليها أن تعود الى طبيعتها ، فتلبس الرداء الجديد الذي ارتديته اليوم لنتغلب على العقبات التي نشأت أمامنا ، ونفلح في اجتياز الازمة التي نمر بها الا أنها كانت تبدو في كل مرة أصدق طبعا ، وأصفى نفسا ، وتأبى ان تقوم بدور المنافقة المخادعة •

وأكاد حين أسمعها تتحدث بصدق وحرارة ، أندفع معها، وأخلع الرداء الجديد لاعود الى طبيعتي السالفة ، ملحدا كافرا ، لا أومن بشيء وأهزأ بكل شيء ، الا أني كنت أعود الى نفسي ، حين أرى في العيون الجائعة ، التي ملأت أركان المنزل ، الضراعة والرجاء • فقد كانوا جميعا ، أمي وأبي ، وشقيقاتي وأولادي ، يخشون أن أنساق في تيارها فتضيع علينا الفرصة الاخيرة في الحياة •

واني لأتساءل ، وقد مضى على زواجنا السعيد ، خمسة أعوام ، أكانت ترضى بي زوجا ، لو علمت ما سنصير اليه اليوم ؟ انها تعاند وتكابر ، وتريدني أن أصبر وأكافح، وتلح علي أن أحيـا حياتي الخاصة ، وأن لا تضطرني ظروف المعيشة الى الكذب والنفاق •

- اسمع يا محمود • يجب أن تقطع صلتك « بالشيخ الصوفي » ان كرامتك تأبى عليك ذلك • ألم تقل لي مرة : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ؟ • وأعود الى العيون الجائعة فأجد فيها كل معاني الضراعة والرجاء • ان «الشيخ الصوفي» يقدم لي كل يوم من ضروب الاحسان والمساعدة وقد صنع من أجلي ما لم يصنعه انسان منذ تسريحي ، وهو الذي نال مني كل أذى وكان موضع تعليقي وتندري في كل مجلس حللته وفي كل ناد دخله ، حتى لأذكر أني نذرت نفسي لشتائمه ، وكشفه أمام من يعرفه عن بعد ، ومن يسمع به من أفواه الناس • أما كيف ذهبت اليه ، فلا أعلم سوى أنني أردت يوما أن أنفق فلم أستطع ، وهممت أن أبيع شيئا فلم أجد ، وكانت السماء يومذاك تنذر بشر أي شر ، وليس في البيت طعام ، وليس فيه وقود ، وغامت الدنيا أمام عيني ، وجلست في زاوية من البيت أنظر الى لا شيء ، ووالدي المريض ، ينظر الي من بعيد ، تأكل قلبه الحسرة ويعضه الجوع والبرد والالم •

- يقال يا بني : ان «الشيخ الصوفي» له مكانة في الدولة، أقصده يا محمود • أقصده فقد ينفعنا •

- « الشيخ الصوفي » ؟ هذا الدجال الكذاب المخادع ؟ كيف أقصده ؟ لقد ناصبته العداء ، وأعلنت عليه حربا لا هوادة فيها ، فكيف أقصده ؟ ألا ، فليذهب الى الجحيم •

- يقال يا بني : انه كريم ينسى اساءة المسيء ، ويقيل عثرات الساقطين • واختلطت كلماتـه بزمجرة الرعـد ، وضاعت أصداؤها تحت وابل منهمر ، فاضت به الشوارع والازقة ، يغسل القذى ويرحض عن جوانبها الاقذار، وألمح في نفسي بقايا حقد قديم عات ، فجرته الكآبة المسيطرة ،

والريح العاصفة دون أن تبلله قطرة من رحمة السماء •

وتجرني قدماي الى رابية في أقصى المدينة ، يقع عليها جامع يلفت الانظار •

تقدم الشيخ نحوي ، وقد علت وجهه ابتسامة لم أستطع فهمها فقد كان الشعور بالاثم نحوه ، والهيبة التي كانت تحيط به ، والانسحاق والضياع اللذان ملكا نفسي، حواجز منعتني من انعام النظر في وجهه ، ونهضت من مجلسي وتبعته بصمت ، كأنني أحد مريديه • ولما طال بي الصمت ، لعنت نفسي والشيخ الصوفي ، ووالدي الذي وصلني به • ترى ما الذي يمكن أن يقدمه الي هذا الشيخ المأفون ؟ ما الذي يستطيع أن يفعله من أجلي • لقد سرحت من وظيفتي منذ شهور فهل يعيدني اليها بعظاته وصلاته ؟ وأخذت أغمغم بكلمات لم يفهمها ، لاني ـ أنا ـ لم أفهم منها شيئا ، الا أني عزمت على التخلص من الشعور الخانق الذي سحقني ، ولو أدى ذلك الى ارتكاب حماقة جديدة مع الشيخ ، الا أنه كان أذكى مني فقد قطع خواطري ، ومد يده ـ وشعرت أنها أثقل من كل يد عرفتها ـ على كتفي وسمعته يقول :

ـ لا تندم على ما فرطت في حقي ، ولا تقنط من رحمة الله ، فالفرصة لا تزال سانحة ، وأنت بعد في مقتبل العمر ، اغسل نفسك من الادران ، وطهرها من الارجاس ، وعد الى أمتك الطيبة ، تجدها قد نسيت كل شيء ، وفتحت لك ذراعها من جديد •

وخشيت أن يسترسل في كلامه ، فتفلت أعصابي من يدي فلا أقوى على مغالبة شعوري نحوه ، أنا الذي حملت له الكره زمنا طويلا ، وجئت اليه اليوم ، أخطب وده ، وألتمس منه العون • وشعرت مرة أخرى باليد الثقيلة تنزل عن كتفي ، فتهز يدي هزا عنيفا ، جعلني أومن ايمانا كاملا بما يتمتع به الشيخ من قوة رهيبة •

ـ لقد زارني اليوم أحد المسؤولين بشركة المغازل الجديدة وقبلك موظفا فيها ، فسر على بركة الله ، ولا تنس تحياتي الى أبيك •

وانطلقت من عنده وأنا لا أصدق أني نجوت بنفسي ، فقد خيل الي أن نظرات أتباعه ومريديه ، ثم يده أجل يده الثقيلة ، لن تدعني الا هشيما أو جثة لا حياة فيها •

★

انها ضريبة مرتفعة الثمن دفعتها ـ وأدفعها كل يوم ـ للشيخ الصوفي • فقد غيرت ، أمام الناس ، كل عاداتي وطباعي وتحليت بصفات حاربتها بعنف ، لاني وجدت فيها أغلالا تسلب حرية المواطن ، وتشل امكانياته عن العمل ، فلا ضرورة لهذه الشعائر ، ولا لتلك العبادات • انها قيود وأصفاد ولعن الله الشيخ الصوفي ، فهو عماد من أعمدة الجمود والتأخر • كان يمكنني ، أن أنقطع عن الزيارة التي أؤديها كل يوم لجامع الشيخ لو كان الجو الذي أعيشه ـ في الشركة ـ بعيدا عن تأثيره ونفوذه •

وذات يوم كنت في البيت ، وفي أعماقي ثورة لاهبة وفي كرامتي انتفاضة أبية ، وقررت أن أترك الشيخ الى الابد ، وأن أتخلص من النير الذي فرضه على حياتي العامة والخاصة، أقصد حياتي وحياة زوجتي ، وانقطعت عن العمل، وانقطعت عن زيارات الشيخ اليومية ، وعدت الى حياتي الاولى ، جاحدا كافرا ، أنال من كل مقدس ، وأطلق العنان لنفسي في الانتقام •

لم أوفق مرة أخرى ، في ايجاد عمل ، فقد بدا لي أن الشيخ الصوفي قطع علي السبل ، وأبى الا أن أرتبط به ارتباطا لا فكاك منه • وحين عدت الى البيت ذات مساء ، رأيت الجزع في العيون ، والدهشة تعقل الالسنة ، فقد انتابت زوجتي آلام الوضع ، واستدعى ذلك اجراء عملية في مستشفى الدكتور سعيد •

كانت ترقد على سرير المستشفى بعد اجراء العملية ، وقد انبعث من عينيها وميض عجيب ، وميض خافت واهن ، تجمع فيه كل معاني الاستسلام والذلة والالم ، وحين أرادت أن تتحدث الي ، أشاحت بوجهها عني وقالت بصوت مرتعش :

يقال يا محمود :

انه ينسى اساءة المسيء ، ويقيل عثرات الضالين •

حلب **بدر الدين الحاضري**

اذا استطعت

تعريب : يوسف عبد الاحد

للشاعر : رديار كيبلينغ

الاهداء :

الى ذوي النفوس الضعيفة الحائرة
الى الذين خارت منهم العزائم خمدت الهمم
الى المتقاعسين والمتخاذلين
الى فاقدي الآمال العذبة ، والاحلام الذهبية ...
(يوسف)

اذا استطعت أن تحتفظ بثبات كيانك ، صلب العقيدة ، راسخ الجنان ، بينما الجميع يفقدونه فقدانا كليا وينحون عليك باللوم والتقريع اللاذعين .

اذا استطعت أن تثق بنفسك ثقة جبابرة الاجيال في الوقت الذي يشك فيك الجميع ، بالرغم من هذا كله لا تأبه لشكهم بك ...

اذا استطعت أن تنتظر طويلا دون أن يتسرب الى عزيمتك الفولاذية الكلل والملل ، ولم تجابه الكذب بالمين واللف والدوران ، وان رشقتك كراهية الناس بنبالها الصارمة ولم تدع هذه البغضاء الى نفسك منفذا أو سبيلا ، ولم تدع بأن الحكمة والمعرفة قد استقرتا بين تلافيف دماغك .

اذا استطعت أن تتسلم زمام الحكم ، فتحكم دون أن تدع للاحلام والاوهام أية سيطرة أو سطوة من الغرور عليك .

اذا استطعت أن تفكر طويلا ولم تدع هذا التفكير غايتك وهدفك الاوحد .

اذا استطعت أن تجابه الانتصار العظيم والانكسار الذميم سواسية دون تململ أو تذمر .

اذا استطعت أن تسمع أقوالك الحقة المجردة عن الغايات والمصالح ، أصبحت مقوضة الاركان متداعية الجدران بمعاول الدجاجلة الافاكين ليشيدوا على أنقاضها صروحهم الهزيلة كخيوط العناكب ليجذبوا اليهم الاغبياء السذج بهذه الشراك الشيطانية .

اذا استطعت أن تتمالك صوابك عندما ترى كل ما تملك بجهود وأتعاب هائلة فقدته دفعة واحدة ، وأن تبدأ في العمل المثمر من جديد دون أن تفقد ارادتك الفولاذية ، الثابتة كالاطواد تهيب بك دوما الى الجد والكد ، ولا تندم على ما خسرته مطلقا ...

اذا استطعت أن ترافق الملوك والامراء دون أن تفقد صلاتك مع عامة الناس وتتحدث اليهم بفضائلك ومزاياك الطيبة .

اذا استطعت أن تصد الاصدقاء والاعداء الالداء من الايقاع بك أو أن ينالوا منك وأن تكون يقظا لحركاتهم وسكناتهم ، ولكنك لا ترهبهم مهما حاولوا وراوغوا .

اذا استطعت أن تشغل دقائق حياتك وثوانيها بالعمل المفيد والجهد الصالح .

نعم اذا استطعت كل هذا
ملكت الارض وما عليها وأصبحت أكثر من ذلك :
أصبحت رجلا يا بني .

دمشق — يوسف عبد الاحد



قديم...

كأس

وبديع من البدائع يسبي كل عقل ويطبي كل طرف
دق في الحسن والملاحة حتى ما يوفيه واصف حق وصف
كفم الحب في الملاحة أو أشفى وان كان لا يناغي بحرف
ما رأى الناظرون قداً وشكلا فارساً مثله على بطن كف
وسط القدر لم يكبر لجرع متوال ولم يصغر لرشف
لا عجول على العقول جهول بل حليم عنهن من غير ضعف
تنفذ العين فيه حتى تراها أخطأته من رقة المستشف
كهواء بلا هباء مشوب بضياء أرقق بذاك وأصف

ابن الرومي

...وجديد

سلام

كسرت لحظها ، تقول : صباح الخير ، أهلا ومرحبا يا صباحي
يا صباح الرضى أطل ، ويا دنيا استهلت ، ويا رفيف الاقاحي

* * *

هود الورد في جبينك للصبح فأغفى وراح بالورد يحلم
واستفاق المساء سكران في هدبيك يحبو معقد الظل مبهم

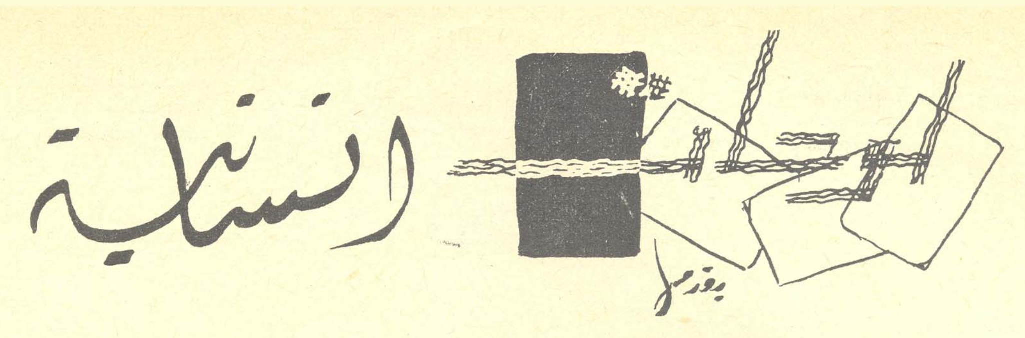
* * *

وكأن الريحان قد طال اذ دست عليه والروض اذ لحت برعم
حسباك نيسان فاختلجا شوقاً وقيل : الربيع قد لاح أو هم

* * *

ايه سمراء ! قبلة منك أو بعض ، وايماءة قليل كثير
ليتني الليل حين لفك يا سمراء والحلم اذ سرى والسرير

وصفي قرنفلي



رسائل

تحية وبعد عاد الشروع الى المرفأ العتيق وكشرت أرض قريتي الكابية تستقبل وقع خطواتي البطيء ، لقد جفت عروقها بؤسا كما جفت عروقي حنينا الى المجهول ، الفقر ذاته يمتقع لونه لو رأى أرضها كما رأيت لو تأملتها تأملي الحنون ، عدت ارمي البذور كيد الفلاح المعروفة ولكن تربتها لا تستطيع أن تنبت ، ربما تودين معرفة عنواني ،

جب الرمان ٠٠٠ ك

عزيزي

أكتب اليك عتابا لا رسالة ٠ لم لم تقل عزيزتي أو صديقتي أو أي شيء آخر ٠ أنت ما زلت كما كنت أقول لك : طفلا كبيرا ٠٠٠ آن للطفل أن يكبر ٠٠٠ ما زلت تخجل وتحجب عواطفك التقاليد ٠

أريد أن أعرف عنوانك ؟ ٠٠٠ أراك تتلذذ بمعرفة ما أود قوله وكأني بك تود جرح كبرياء امرأة ٠ لو لم تكتب لفعلت المستحيل لمعرفته ولبدأت الكتابة اليك ٠

أنت لست سرا وتحاول أن تكون من الاسرار وكامرأة وكطفلة أحب أن أعرف عنك حتى تافه الاشياء ، كيف تأكل ، كيف تشرب ، كيف تتأمل ، بماذا تفكر الآن ، بماذا تحس ؟

كتبت أربعة سطور فقط ٠٠٠ أهكذا يكتب ؟ أرسالة هذه أم دعوة لمبارزة ؟

قل ألست سعيدا ٠٠٠ كيف القرية ٠٠٠ تحدث طويلا قل كل شيء ! كل شيء ! كل شيء !

★ ★ ★

هل نسيت ٠٠٠ ؟

بدأت رسالتي اليك بالتحية وما حييت ٠٠٠ يا عزيزتي ٠٠٠

تحية وبعد :

نعم لقد آن للطفل أن يشيخ أوتجهلين أنه ولد وكانون والهرم ٠٠٠ لقد دب الصقيع الى أوصاله عندما كان في عالم الغيب فولد والصقيع ٠

ما لنا ولهذا ٠٠٠

سبيبلوس يصمت الآن في الفالس الحزين أو أنا أتطلع من النافذة الفقيرة ٠ لقد هامت نظراتي عبر الجدب وتسلقت الجبل الذي تتربع عليه قلعة الملك شمس ٠ حثيثة الخطوات الى حيث كنا نجلس صغارا على حافة الهوة ٠ نستطلع قعرها فلا نعثر الا على الظلام ٠ ونرمي الحصا فتصطدم بالجدار مرات أربع وتئن كأنها ناقوس متعب يدعو الى جناز ثم تغيب في العتمة السحيقة ٠

كان يحب أن يصعد مع الفجر الى القلعة عندما تتفتح زهور الحقل ويلهو بنفض الندى عن وريقاتها ثم يتسلق الجبل الى القلعة فيقبع على حافة الهوة يتأمل أسرارها ساعات طويلة تدعوه اليها فيهم أن يعانقها عناقا أبديا ثم يرقد ليجدد المحاولة٠ وذات يوم تسلق الجبل وأنا أرقبه ٠

سقط الطل عن الاوراق وكانت آثار أقدامه الى الاعالي طرية حفرت أخاديد صغيرة ولكني لم أر آثار عودته ٠

عفوا أريد أن أتوقف قليلا عن الكتابة لقد عاد سبيبلوس الى أنينه المكبوت ولا بد من جرعة أخيرة من كأسي ٠

لم يعد ولكنه يراودني دائما كظلي يطرق بابي في الليالي المقمرة يكبح جماح النوم عن مقلتي في الليالي المظلمة لقد هوى ملبيا نداء المجهول أعرفت من هو ؟

★ ★ ★

عزيزي

تحية وبعد : رسالتك كئيبة آن أن تتخلص من سوداويتك ٠ كنت تتحدث عن المرح والرقص وعن الجمال فهل غاض الرقص والجمال في نفسك ٠ أرى أن التصنع أكثر من الواقع انك تهيم في أرض لا ظلال لها على الارض ٠

قل من هو ذلك الذي لبى نداء المجهول ؟

س

في بلاسان مارتين

«تمثال»

شعر جورج سالم سيف

في عينيك أيها التمثال الاسمر ..
شيء من عندنا ..
خفق له قلبي ..
وسكب البسمة على ثغري .
انه أحلى شيء في عينيك
أيها الرابض في هذه الغابة الخضراء
عيناك ، سرجان مدللان ..
زينتهما من دموع لياليك ..
المعبقة بأطياب البطولات !
والسكرى بسلاف الفتح والانتصارات
شيء في عينيك !
احلى شيء في عينيك
أحلى من النور
وأحلى من الحياة
وأحلى من الخلود
وأحلى من العذارى ..
انه اروع ماذكرتينه عيناك ..
عندما تتلألأ الصباحات في حجر ..
وعندما ينبثق الضياء من ازميل
وعندما يرفعون تاريخا ..
فوق ذروة خضراء !
في عينيك أيها التمثال الاسمر
لمحت شيئا هو أحلى شيء في عينيك
انه الشيء الذي احبه ..
الشيء الذي اعبده ..
انه .. وطني !!

سيمفونية أحلى

السيمفونية الخالدة ..
التي اسكرت قيثارة الزمن .
وفجرتها يمناك !
في سان لورنسو
أيها البطل ..
لها في بلادي حكايات .
انها نسيج من اساطير البطولة
المبعثرة بين رمال حطين
والضائعة على ضفاف اليرموك
انها شيء من تاريخ ..
ولد منذ الأزل
في بلادي !
وحمله الفاتحون
من عندنا ..
ليبذروه في كل أرض، لم تبتسم للنور ..
ولم تضحك للصباح .
ان السيمفونية الرائعة ..
التي دغدغت خواطر الخلود
في سان لورنسو
وعبقت الكون ،
بأطياب الحرية والحياة ..
دوت اصداؤها من جديد ..
في وطني .
وخفقت في كل اطلاله نور
اشرقت من عندنا ،
لقد حملت الى العالم ،
أحلى اغنية من بور سعيد
واروع ملحمة من صحراء سيناء
انها اختلاجات ارضنا ..
المجبولة بالكبرياء
والمخضبة بالدماء
والمزروعة بالاضاحي والشهداء .
ارضنا أيها البطل ..
تتلهف لموسم الحصاد ،
لسان لورنسو جديدة
نحرق فيها الزؤان
وندوس الحشرات ..
هناك .. في روابي فلسطين !
ونفجر سيمفونية أمل ..
تغنيها النجوم ..
ويرقص لها القمر !

سمعته في وطني

صهيل جوادك الابيض
في ذرى الاندلس ..
يا محرر هذه الارض
سمعته في وطني ..
في أمسية من أماسي دمشق
يوم خضبت اشعة الاصيل السكران
سهول ميسلون ،
بالدم النقي الاحمر
وزرعت حوافر الخيل
في كل شبر من الغوطة الخضراء ..
الف اسطورة فداء !
يوم غابت الشمس
وكلها لهفة الى البعث
وشوق الى البقاء
لتشهد كيف يسكر الليل
بعطر البطولات !
وكيف تطلع النجوم
من عيون الفوارس ..
وكيف ينتحر القمر ،
في زحمة الصراع !..
صهيل جوادك الابيض
يا ضحى ٢٥ أيار ..
سمعته في وطني ..
في عيشة يوم ، زلزلت آفاق جلق ..
وروعت الف قلب ، والف عين ..
يوم انحنى التاريخ ..
واومأ الى الملعب البلدي
ليكون منطلق الحياة ..

وبيت لحم البطولة ..
يوم غابت الشمس ، في جبهة النسر
النسر الفتى الذي هوى
ليضرج الارض ..
بأزكى نجيع
ويخلد التضحية ..
بأروع استشهاد .
ويهزم الخيانة ..
الى الأبد !!
صهيل جوادك الابيض
يا امثولة الفداء .
سمعته في وطني ..
على شواطئنا ،
يوم ركزنا حجر الزاوية ،
في اساس الوحدة
على انقاض جان بارت
وعلى اشلاء كلاب الصيد
وعلى بقايا المعتدين الوحوش
يوم انطلق الطوربيد الجبار
بالفتى الأبي الاسمر ..
يبني مستقبلا ، وينشيء جيلا ..
ويدفن الى الأبد ..
حشرجة الغزاة !
صهيل جوادك الابيض
يا سان مارتن
اجمل نشيد على شفاه الخلود
واروع لحن .. في خاطر التاريخ

جورج سالم سيف

من صنع عينيك...

شعر : حنا الطيار

يا ناشر الليلِ على هدبه — ما أجملَ الليل على هدبكْ

وناثر الأنجم في غربـه — ما أروع الأنجم في غربك

يلفُها الصحو فلا غيمـةٌ — تكدر الصحو على شهبك

يا صاحب النيسان في ركبه — ما أضوع النيسان في ركبك

مخضوضر الدرب فلا نفْحةٌ — لم تزحمِ الدرب الى قربك

مخضوضر الدرب فلا هزةٌ — لم تأخذ الدربَ على نخبك

من صنع عينيك أمانينا — ننسجها بالفَيء من هدبك

بالواحة المعطار لي جلسةٌ — تحت ظلال النخل من شطبك

بالزورق السكران لي رحلة — لشاطئ يحلمُ في حبك

على الروابي الخضر لي نشوة — وفي يدي العنقُود من هضبك

كأنـني في حلم سابحٌ — تمتصني الأنجمُ في رحبك

أَهيم بالمبهورِ من نورها — بالمسكر الشلال من سكبك

أهيم في مطلق حالمٍ — لا يعرف الصحو على غربك

حنا الطيار

بين النكبة والبناء

ـ في تاريخنا الحديث ـ

ما من أمة من الامم الا وعانت اياما من القوة والضعف ، والنصر والهزيمة ، والتقدم والانحطاط . واصالة الامة تظهر في ساعات الشدة والمحن كما تظهر في مواقف المجد والسؤدد ، فكل المد والجزر في حياة الامم معيار صحيح تقاس به امكانياتها على الاستمرار في الحياة وعلى المساهمة في الحضارة ، وامتنا العربية عصفت بها اهواء ، ولعبت بمقدراتها اطماع ، وقطعت أوصالها قوى استعمارية مختلفة ، واصابتها سهام داخلية وخارجية حتى تكسرت السهام على السهام ، فلم تبال ، ولم تستسلم ، ولم تحن هامتها ، بل حولت المصائب النازلة بها الى حسنات ، والكوارث الى انتصارات ، ونظرة خاطفة الى الخطوط العريضة في تاريخنا الحديث ترينا كيف كانت امتنا بقوتها الخلاقة وميزاتها الاصلية تتحدى الفوضى والضعف والاستسلام ولعل « توينبي » شيخ المؤرخين الانكليز المعاصرين لو أمعن النظر في تاريخنا ، ما بطن منه وما ظهر ، لاكتفى به برهانا على نظرية « التحدي في التاريخ » التي تبناها وخصص لها المقالات الطوال ، واستشهد لاثباتها باحداث قديمة ومتوسطة ، ذلك ان كل محاولة لاذلال شعبنا وافنائه تحولت الى نصر وتقدم ، وكانت لبنة من لبنات نهضتنا العربية الحديثة واذا استعرضنا مراحل هذه النهضة وجدنا اثر النكبة في البناء في كل منها واضحا :

١ ـ كان اول اصطدام وقع بين الشرق العربي والغرب الاوربي خلال الحكم العثماني الطويل هو حملة بونابرت على مصر والشام ، وكان رد الفعل لهذه الحملة ظاهرا في ثورتي القاهرة الاولى والثانية وفي تدفق المتطوعين من انحاء سورية لقتال نابليون وتخفيف ضغطه عن عكا . وكان هذا الوعي الشعبي العام الذي وصفه الجبرتي وصف شاهد عيان نتيجة حميته للنكبة التي حلت بالبلاد من العدوان الخارجي ومثل ذلك ما حدث لحملة « فريزر » الانكليزية ١٨٠٧ التي تصدى لها شعب مدينة رشيد فأفنى جنودها واجبر من كان خارج المدينة على الانسحاب يجر اذيال الهزيمة والخزى والعار .

٢ ـ لما ظهر التنازع على النفوذ في سورية ولبنان بين الافرنسيين والانكليز عقب خروج ابراهيم بن محمد علي من سورية واستطاعت الدولتان بتواطؤ مع الترك اشاعة الفوضى الداخلية ، واثارة النعرات الطائفية ، فحدث ماحدث بين عامي ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ مما لم يرض عنه عقلاء القوم ، فتنادى أبناء البلاد ، المسيحيون منهم والمسلمون ، الى التآخي بين السكان على اختلاف مذاهبهم والى المساهمة في احياء التراث العربي المشترك ، واعلن بطرس البستاني باسم الجميع « حب الوطن من الايمان » وغنى ابراهيم اليازجي منشدا :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
خلوا التعصب عنكم واستووا عصبا
على الوئام لدفع الظلم تعتصب

وكانت الجمعيات العلمية والادبية والصحف والمجلات وكتابات الكتاب وقصائد الشعراء تدور كلها حول الوطنية والقومية والحضارة العربية الزاهرة التي ساهم في خلقها العرب وغير العرب ، والمسلمون وغير المسلمين ، وكان هذا التيار الذي طغى على كل تيار فكري آخر ردا على محاولات الدولتين الاستعماريتين فرنسا وانكلترا لذر قرن التفرقة بين أبناء الوطن الواحد .

٣ ـ حين اشتد الاستبداد الحميدي وعد على الناس أنفاسهم ، وأحصى أقوالهم وأفعالهم ، وراقب حركاتهم وسكناتهم ، وأصاب بشروره وانتقامه جميع طبقاتهم ، برزت الخطوط الاولى لمطالب العرب فحددت الجمعية السرية التي ظهرت في بيروت ودمشق ١٨٧٥ مطالب العرب من الترك « باعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الدولة وعدم تجنيد العرب الا في حدود بلادهم ومنح الاستقلال لسورية متحدة مع لبنان » وكانت هذه المطالب الاساس الذي دارت حوله مساعي الزعماء العرب حتى الحرب العالمية الاولى ... ولما استثمر السلطان عبد الحميد فكرة « الجامعة الاسلامية » في سبيل تحقيق مآربه وتقوية قبضته على رعيته في الداخل والمساومة عليها في الخارج ضد القوى الاستعمارية ظهرت في سورية ولبنان الدعوة الى « القومية العربية » التي ربطت بين أبناء البلاد جميعا برباط واحد وكانت تيارا معاكسا لتيار سياسة الدولة الحاكمة .

٤ ـ عمل العرب والترك معا للتخلص من نير الحكم الحميدي ، ولكن الاتحاديين ما كادوا يظفرون بالسلطة

والنفوذ ، حتى كشروا عن أنيابهم وأعلنوا سياسة «التتريك» وأخذوا في اغتيال الزعماء العرب وتشريد عائلاتهم ، والضغط على كل ما هو عربي ، وتحويره أو تحويله الى مصلحتهم ، فقويت الفكرة العربية وتحولت من خاصة الخاصة الى الطبقات العامة ، وصارت الجمعيات العربية ، وما أكثرها في كل بلد عربي ، تعمل من أجل القومية العربية ، وقد تجسدت أعمال هذه الجمعيات في مؤتمر باريس العربي ١٩١٣ الذي عقد برئاسة عبد الحميد الزهراوي وحضره مندوبون لا عن الجمعيات العربية في مختلف أقطار العرب فحسب ، بل عن الجاليات العربية في الامريكتين أيضا ، مما اضطر تركيا الاتحادية الى الاعتراف رسميا بمطالب العرب ووعدت كاذبة بتنفيذها ٠

٥ — خلال الحرب العالمية الاولى خدع جمال السفاح بعض الزعماء العرب في الشام حتى باحوا له بدخائل نفوسهم، وأطلعوه على كوامن رغباتهم ، ثم قلب لهم ظهر المجن ، وحكم على الكثيرين منهم بالاعدام ونفذه في بعضهم بينما ابتعد بعضهم الآخر عن عيونه ، وأذاق جمال الاهلين في سورية ولبنان الاهوال ، وجرعهم المصائب ، فأصبحهم على الجوع والفقر والعوز ، وأمساهم ء لى المرض والخوف والتنكيل ، وكان بعمله هذا مساعدا على الاسراع بالثورة العربية التي سقت الترك من نفس الكأس المترعة التي أذاقوها للعرب خلال حكم طويل ، وطردتهم من البلاد شر طردة ٠

٦ — بعد الحرب العالمية الاولى كشر الاستعمار الغربي عن أنيابه ، وتنكر لوعوده للعرب ، ولاتفاقه مع الشريف حسين ، ففرض استعماره باسم الانتداب ، وقطع أوصال البلاد ، ومكن للصهيونية في فلسطين، فزرع الاستعمار بذلك بذور الثورة التي اشتعلت في سورية والعراق وفلسطين ومصر وحصدها نيرانا فتكت بقواته وعرضت سمعته الى الانحطاط وأجبرته صاغرا أن يرتد وينسحب عن بعض أراضي العرب ولا يزال يعاني حشرجة الموت فيما تبقى له من نفوذ في الجزء الباقي منها ٠

٧ — اتفقت الدول الاستعمارية جميعها مع الدول الشيوعية على طعن العرب في الصميم فخلقوا في فلسطين الحبيبة دولة مسخا أسموها « دولة اسرائيل » ونفخوا فيها من روحهم ، وأيدوها بنفوذهم السياسي والمادي ، وسلحوها بأحسن سلاح يملكونه ، وبذروا بذور الفتنة والفرقة بين حكام العرب ، واشتروا ضمائر هؤلاء الحكام بالمال أو الوعود وتآمروا معهم ضد أمة العرب وكانت « قضية فلسطين » بما أحيط بها من ظروف وما رافقتها من ملابسات المحرك الرئيسي للنهضة العربية الشاملة التي تلت أحداثها ، واليها يمكن أن نعزو جميع مجريات التاريخ العربي في العشر سنوات الاخيرة ، ولولا الجرح الذي لا يزال ينزف في قلب كل عربي من مؤامرة الاستعمار والصهيونية والحكام الخائنين لما حدث ما حدث في عالمنا العربي ولبقيت نهضتنا المعاصرة تتعثر في خطاها وتسير ببطء في طريقها المرسوم وأول حركة رد فعل لنكبة فلسطين الانقلابات المتعددة في سورية واغتيال عدد من حكام العرب الذين ساهموا في تخدير العرب أو اشتركوا في المؤامرة الكبرى ضد العرب ٠

٨ — لم تكن ثورة الجيش في مصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الا تحديا للاستعمار الانكليزي الذي أسهم في خلق اسرائيل والذي ضغط على الوعي القومي في مصر ، وتحديا للملك فاروق الذي انغمس في الشهوات واسترسل في خدمة الاستعمار ، وشارك في ضرب الجيش المصري والامة العربية في قضية « الاسلحة الفاسدة » واستهتر بالشعور الوطني بلعبه بالوزارات حسب أهوائه الصبيانية ونزواته الشيطانية ٠

٩ — من خلال الاحداث المذكورة سابقا ونتيجة حتمية لها في أمة لا يزيدها البلاء الا تماسكا ، ولا تفعل فيها المصيبة الا نموا واضطرادا ظهر الرئيس « جمال عبد الناصر » وكان لا بد له من الظهور بعد أن وجدت عوامل ظهور زعيم صحيح، ونضج الفكر العربي ، وانتشر الوعي الجماهيري من المحيط الى الخليج ، واتجهت أنظار العرب الى الزعيم القادر على قيادة حركة هذه الجماهير وتنظيم قوتها الكامنة والتعبير عن خلجاتها وتحقيق آمالها ، وكانت أعمال وأفعال عبد الناصر جميعها تستند الى ما أصاب أمة العرب من فشل ونجاح ، وما ساعدها على النمو والنهوض ، أو ما وقف في طريقها من عوائق وعوارض ، فأفاد من االربح والخسارةونظم ميزانها العام على أن يصبح ربحا كله فخلق في الامة العربية ثقتها بنفسها ، واستثمر قواها الكامنة فكان بحق ممثلا لاحلام جميع العرب في دنيا العرب ٠

١٠ — من أعمال عبد الناصر التي يعتبرها الانكليز خدعة لم ينخدعوا بمثلها في تاريخهم الاستعماري الحافل بالخدع يوم ساقهم عن غير قصد منهم الى توقيع « اتفاقية السودان » التي أقرت استقلال السودان فخدم عبد الناصر شعبا عربيا وجارا تربطه به روابط الاخوة والدم والمصلحة والقومية ، وكان ذلك جوابا على معاكسة الانكليز لوحدة وادي النيل ، في قلب كل مواطن على ضفتي النيل في مصر والسودان ٠

١١ — رد عبد الناصر على احتكار الغرب تجارة السلاح بعقده صفقة الاسلحة التشيكية ، كما رد على سحب انكلترا والولايات المتحدة الامريكية والبنك الدولي عروضهم لتمويل السد العالي بتأميم قناة السويس ليحقق من دخلها هذا المشروع الحيوي ، فكان عمله ضربة للاستعمار لم يتلق مثلها في بلد من بلدان العالم ٠

١٢ — دبر الاستعمار عدوانه على مصر في معركتي سيناء وبور سعيد فحصد الهزيمة والخزي وخرجت القومية العربية من هاتين المعركتين حقيقة واقعة وروحا قوية تسري مسرى الدم في جسم كل عربي أينما وجد هذا العربي ، وغدا عبد الناصر لا قائدا مظفرا فحسب ، بل زعيما للقومية العربية ، وبطلا من أبطال التاريخ الكبار ٠

١٣ — ورد سكان مصر وسورية على المؤامرات الاستعمارية الكثيرة التي دبرت في الظلام ضد الحركات الوطنية باعلان

الازمنة الحديثة

بقلم : **جان بول سارتر**

ترجمة : **جورج طرابيشي**

مقدمة جان بول سارتر لمجلته « الازمنة الحديثة » عند صدورها عام ١٩٤٥

جميع الكتاب الذين من أصل بورجوازي عرفوا اغراء اللامسؤولية ، فهي قد أصبحت منذ قرن تقليدا في مهنة الادب · فالكاتب نادرا ما يقيم علاقة بين أعماله وبين قيمتها المالية · فهو من جهة ، يكتب ، ويغني ، ويتأوه ، ومن جهة أخرى يمنح مالا · وتلكما واقعتان لا علاقة ظاهرية بينهما ، وأفضل ما يمكن أن يعمل هو القول بأنه يتلقى راتبا كي يتأوه · وهكذا يعتبر نفسه كطالب يستحق منحة أكثر مما يعتبر نفسه عاملا يأخذ ثمن أتعابه · ان أصحاب نظرية الفن للفن والواقعية جاءوا ليثبتوه في هذا الرأي · فهلا لاحظ أحد أن لهم الهدف نفسه والاصل نفسه ؟ ان الكاتب الذي يتبع تعليم الاوائل يهتم بشكل رئيسي بكتابة أعمال لا تخدم شيئا البتة : اذا ما كانت مجانية ، محرومة من الجذور ، فهي لا تبدو بعيدة عن أن تظهر له جميلة · وهكذا يضع نفسه على هامش المجتمع ، أو بالاحرى لا يقبل أن يمثل فيه الا على أساس اعتباره مجرد مستهلك ، وعلى التحديد كطالب يتمتع بمنحة · والواقعي ، هو أيضا ، يستهلك عن طواعية · أما الانتاج ، فهو مسألة أخرى : لقد قيل له أن العلم لا يعنى بما هو مفيد ، ولذلك تراه يطمح الى تجرد العالم العقيم · ألم يقولوا لنا كثيرا أنه «ينحني» على الاوساط التي يريد وصفها · ينحني ! أين هو اذن ؟ في الهواء ؟ الحقيقة هي أنه ، لكونه غير واثق من مركزه الاجتماعي ، وأكثر ورعا من أن يقف ضد البورجوازية التي تدفع له ، وأذكى من أن يقبلها دون تحفظ ، اختار أن يحكم على عصره واطمأن ، بهذه الوسيلة ، الى أنه يبقى خارجا عنه ، كما يبقى المجرب خارجا عن النظام التجريبي · وهكذا فان تجرد العلم المحض ينضم الى مجانية الفن للفن · وليس صدفة أن فلوبير أسلوبي محض ومولع بالشكل وابو الطبيعية في آن واحد ، وليس صدفة أن الاخوين غونغور يفتخران بمعرفة الملاحظة وبكتابتهما الفنية في آن واحد ·

ان هذا الارث من اللامسؤولية قد وضع الاضطراب في كثير من النفوس · فهي تشكو من ضمير أدبي سيء ولا تعرف أبدا ، بشكل جيد ، ما اذا كانت الكتابة شيئا مدهشا أو مضحكا · في الماضي ، كان الشاعر يعتبر نفسه نبيا ، وهذا شيء مشرف ، ثم أصبح منبوذا وملعونا ، وهذا يمكن أن يقبل أيضا · ولكنه اليوم، سقط الى صف الاختصاصيين، وهو يذكر ، ليس دون شيء من الانزعاج ، تحت اسمه

الوحدة بين القطرين ، وتأسيس الجمهورية العربية المتحدة فكان ذلك صفعة جديدة لجميع العناصر الرجعية في العالم أفسدت على الاستعمار والصيهونية والشيوعية أحلاما عريضة كان كل منها يحلم بتحقيقها في هذا الجزء من وطننا المفدى ، وقطعت عليهم كل طريق يرغبون اتباعه لاعادة تسرب نفوذهم وفرض ارادتهم ·

١٤ ـ في العراق الشقيق انتهت سياسة نوري السعيد وعبد الاله بانفجار ثورة ١٤ تموز (يوليو) التحررية التي أثبتت للعالم أن القوة مهما كانت كبيرة ، وأن الضغط مهما كان شديدا ، وأن الاعتقال والنفي والتشريد لا يستطيع كله أن يخفت صوت الحرية ، ولا أن يضع الروح الوطنية في القمقم الا الى حين · واذا تمكن التحالف الاستعماري الشيوعي من الانحراف بثورة العراق هذه ، فان كره الشعب العربي فيه لهما معا ازداد أضعاف ما كان عليه في السابق ، وستثور العراق ثانية وثالثة وان غدا لناظره قريب ·

١٥ ـ أما في الجزائر وعمان وغيرهما فالثورات لا تزال مشتعلة متحدية قوة الاستعمار ومنددة بسياسته الفاجرة الماكرة ، ومعلنة حقها بالحياة الحرة الكريمة ، وكلما أوغل الاستعمار في وحشيته كلما تألق نور الاحرار ولمعت قوات الثوار وساروا بخطى وئيدة الى التحرر والاستقلال ·

وبعد ألا ترى معي أيها القارىء العزيز أن بين النكبة والبناء صلة قوية في تاريخنا الحديث وأن ما من نكبة نزلت بنا الا وأعقبها بناء يفوقها ، ولولا النكبات التي تكاثرت علينا لما أسرعنا في خطانا نحو التسلح والتصنيع وتشييد الجبهة الداخلية على أسس قوية ، واتباع سياسة الحياد الايجابي واتخاذ موقف وسط بين المعسكرين الدوليين المتخاصمين ، واعلان سياستنا الصريحة الواضحة التي لا لف فيها ولا دوران : « نعادي من يعادينا ونسالم من يسالمنا » ·

أنور الرفاعي

في سجلات الفنادق ، مهنة « رجل آداب » . رجل آداب : ان هذه العبارة ، في حد ذاتها ، فيها شيء يدعو الى الاشمئزاز من الكتابة ، وكأنها تعني طفلا مرعبا ، وأهوس لا يمكن أن يعتدي على أحد يمت بصلة الى البهلوانيين أو الى علماء المسكوكات القديمة . كل ذلك سخيف جدا . ان رجل الآداب يكتب عندما تقوم معركة ، وفي ذات يوم يفخر بذلك ويحس بنفسه محاميا عن القيم المثالية وحارسا لها ، وفي الغد يخجل من ذلك ويجد ان الادب يشبه كثيرا نمطا من التكلف الخاص . انه يعي وجاهته لدى البورجوازية التي تقرأه ، ولكنه يشكو ، تجاه العمال الذين لايقرؤونه من عقدة نقص ، وهذا ماشوهد في « دار الثقافة » عام ١٩٣٦ ولا ريب في أن هذه العقدة هي التي وراء ما يسميه «بولهان» ارهابا ، وهي التي تقود السيرياليين الى احتقار الادب الذي يعيشون منه . وبعد الحرب الاولى ، أتيحت الفرصة لغنائية خاصة ، فراح أفضل الكتاب ، الاكثر صراحة ، يعترفون علنيا بما يمكن أن يذلهم أكبر الاذلال ، ويبدون قناعتهم بعد ان يجلبوا على أنفسهم النفور البورجوازي : فهم قد أنتجوا كتابة تشبه قليلا ، في نتائجها ، عملا ما . ولم تستطع هذه المحاولات المنعزلة ان تمنع الكلمات من أن تفقد قيمتها كل يوم باستمرار . وحدثت أزمة البلاغة ثم أزمة اللغة . وكان معظم الادباء قد قبلوا ، في عشية تلك الحرب ، ألا يكونوا الا بلابل . بل وجد أخيرا بعض المؤلفين ليدفعوا القرف من الانتاج الى النهاية ، فرأوا ، متجاوزين الذين سبقوهم ، انه لايكفي أبدا ان ينشر كتاب غير مفيد فحسب ، بل أيدوا ان الهدف الخفي من كل أدب هو تدمير اللغة ويكفي للوصول الى ذلك التكلم لقول لاشيء . وأصبح هذا الصمت الذي لا ينفد موضة بعض الوقت ، ووزعت « وكالات دار هاشيت » في مكتبات المحطات حجوما مضغوطة من الصمت على شكل روايات كبيرة . وقد وصلت الامور اليوم الى حد اننا رأينا كتابا ، نالوا توبيخا أو عقوبة لأنهم اجروا اقلامهم للألمان ، يظهرون دهشة متألمة ويقولون: « اواه ؟ ان ما نكتبه يلزمنا اذن ؟ » .

اننا لا نريد أن نخجل من الكتابة واننا لا نرغب في الكلام كي لانقول شيئا . وحتى لو كنا نتمنى ذلك ، فاننا ما كنا لنتوصل اليه في الاصل . ما من انسان يستطيع ان يتوصل اليه . لكل كتابة معنى ، حتى ولو كان هذا المعنى بعيدا جدا عن المعنى الذي أمل الكاتب ان يضعه فيها . ان الكاتب بالنسبة لنا ، بالفعل ، هو « في المرمى » مهما فعل ، مبين ، معرض للخطر ، حتى في اقصى عزلته . واذا ما كان ، في بعض العصور ، يستخدم فنه في ابداع اشياء للزينة تافهة رنانة ، فهذا أيضا اشارة ، اشارة الى وجود ازمة في الادب ، وبلا ريب في المجتمع أو الى ان الطبقات الحاكمة قد وجهته دون ان يشك ، الى نشاط ترف ، خوفا من أن يقوي الفئات الثورية . ان فلوبير ، الذي شتم البورجوازيين كثيرا والذي ظن انه انسحب بعيدا عن الآلة الاجتماعية ، ماذا يعني بالنسبة لنا أكثر من صاحب دخل موهوب ؟ لابد من قليل من السنين كي يصبح كتاب ما واقعة اجتماعية فيسأل وكأنه مؤسسة ويدخل كشيء في الاحصاء ، ولا بد من قليل من التقهقر كي يمتزج مع اثاث عصر ما ، بثيابه ، وقبعاته ، ووسائل نقله وتغذيته . ان المؤرخ سيقول عنا : « انهم كانوا يأكلون هذا ، ويقرأون ذاك ، ويرتدون هكذا » . فسكك الحديد الاولى ، والكوليرا ، وثورة « كانوت » ، وروايات بلزاك ، وانطلاق الصناعة ، تشترك معا في تمييز ملكية تموز . كل ذلك قد قيل وكرر منذ هيجل : اننا نريد أن نستخلص منه الاستنتاجات العملية . فما دام الكاتب لا يملك أية وسيلة للهرب ، فاننا نريد ان يعانق عصره بشكل وثيق ، فهو فرصته الوحيدة ، انه صنع من أجله وهو صنع من أجله . اننا نأسف على لامبالاة بلزاك تجاه أيام عام ١٨٤٨ ، وعلى عدم التفهم الخائف الذي أبداه فلوبير تجاه حكومة الكومونة ، اننا نأسف على ذلك من أجلهما ، فهناك شيء قد فاتهما الى الأبد . اننا لا نريد أن يفوتنا شيء من عصرنا : ولعله يوجد أجمل منه ،ولكنه عصرنا . وليس لنا الا هذه الحياة لنحياها ، في قلب هذه الحرب ، وهذه الثورة ، من الجائز . ولا يستنتج أحد من ذلك اننا نعظ بنوع من التطبيل بالشعب ، بل ان الامر على النقيض من ذلك تماما . ان التطبيل بالشعب هو وليد قديم ، السليل الحزين لأواخر الواقعيين ، وهو أيضا محاولة للتخلص من الورطة بمهارة . اننا مقتنعون ، على النقيض من ذلك ، بأنه لا يمكن التخلص من الورطة بمهارة. حتى ولو صرنا بكما بلا حراك كالحصى ، فان سلبيتنا بالذات ستكون عملا . ومن سيكرس نفسه لكتابة روايات عن الحثيين ، فان استنكافه بالذات سيكون اتخاذا لموقف . ان الكاتب هو « في موقف » في عصره ، فلكل كلمة تأثيرها . ولكل صمت أيضا . انني اعتبر فلوبير وغونفور مسؤولين عن القمع الذي تلا حكومة الكومونة لانهما لم يكتبا حرفا واحدا لمنعه . وقد يقال ان القضية ليست قضيتهم . ولكن هل كانت دعوى « كالاس(١) » . قضية فولتير ؟ وهل كانت ادانة دريفوس قضية زولا ؟ وهل كانت ادارة الكونغو قضية اندريه جيد ؟ كل واحد من هؤلاء الكتاب قد وزن مسؤوليته ككاتب ، في ظرف خاص من حياته . وقد علمنا الاحتلال مسؤوليتنا . ولما كنا نؤثر على زمننا بوجودنا بالذات ، فاننا نقرر ان هذا العمل سيكون عن طواعية . ومرة أخرى نحدد : ليس من النادر ان يهتم كاتب ما ، بحصته المتواضعة ، بتهيئة المستقبل . ولكن هناك مستقبلا غامضا وتصوريا يتعلق بالانسانية أجمع ،وليست لنا أية اضواء عليه : هل سيكون للتاريخ نهاية ؟ هل ستنطفىء الشمس ؟ كيف سيكون وضع الانسان في النظام

---

(١) كالاس : تاجر من تولوز ولد عام ١٦٩٨ . واتهم زورا بأنه قتل ابنه كي يمنعه من الارتداد عن البروتستنتية ، واعدم عام ١٧٦٢ بواسطة التعذيب بالدولاب بحكم من البرلمان . ثم أعيد اليه اعتباره عام ١٧٦٥ بسبب كتابات فولتير عن القضية . « **المترجم** » .

الاشتراكي عام ٣٠٠٠ ؟ اننا نترك هذه الاوهام لروائيي التنبؤ • ان مستقبل عصرنا هو الذي يجب أن يكون موضع عنايتنا • مستقبل محدد يتميز عن عصرنا بصعوبة ، لأن العصر ، كالانسان ، هو مستقبل قبل كل شيء • انه مصنوع من أعماله الجارية ، من مصانعه ، من مشاريعه البعيدة أو القصيرة الامد ، من ثوراته ، من معاركه ، من آماله : متى ستنتهي الحرب ؟ كيف سيعاد تجهيز البلاد ؟ كيف ستدار العلاقات الدولية ؟ كيف ستكون الاصلاحات الاجتماعية ؟ هل ستنتصر القوى الرجعية ؟ هل ستقوم ثورة وكيف ستكون ؟ ان هذا المستقبل سنعمله مستقبلنا • ولا نريد أن يكون لنا بديل عنه • ولا ريب في أن لبعض الكتاب مشاغل ليس لها صفة راهنة ، ووجهات نظر أقل قصرا • انهم يمرون بيننا وكأنهم غياب • أين هم اذن ؟ انهم يلتفتون الى الوراء ، مع حفدتهم ، ليحكموا على هذا العصر الماضي الذي كان عصرنا والذي هم الوحيدون الباقون منه • ولكنهم يخطئون الحساب : ان المجد الذي يأتي بعد موت صاحبه ، يستند دائما على سوء تفاهم • ماذا يعلمون عن هؤلاء الحفدة الذين سيأتون ليصطادوهم بيننا! أن تكون خالدا وأنت حي ، أمر شاق جدا ، فليس من السهل أن تعيش برجل فيما وراء القبر وبرجل في الجانب الاقرب منه • كيف تنجز القضايا الجارية عندما تنظر اليها من مثل هذا البعد ! كيف تثير المعركة ، كيف تتمتع بنصر كل شيء متكافىء • انهم ينظرون الينا دون أن يرونا • اننا أموات في اعينهم • ويلتفتون في الرواية التي يكتبونها الى أناس لن يروهم أبدا • لقد تركوا حياتهم تسرق منهم بسبب الخلود • اننا نكتب لمعاصرينا ، اننا لانريد أن ننظر الى عالمنا بأعين مستقبلة ، فتلك هي اضمن وسيلة لقتله ، ولكن بأعيننا الجسدية ، بأعيننا الحقيقية التي ستفنى ذات يوم • اننا لا نتمنى ان نربح دعوانا بالاستئناف ولسنا بحاجة الى اعادة اعتبار بعد موتنا : ان الدعاوى انما تربح أو تخسر هنا بالذات واثناء حياتنا •

الا اننا لانفكر بتدشين نسبية أدبية • اننا لانميل كثيرا الى ما هو تاريخي محض • ان كل عصر يكشف مظهرا من الوضع الانساني ، وفي كل عصر يختار الانسان نفسه تجاه الغير ، والحب ، والموت ، والعالم • وعندما تتواجه الاحزاب لنزع السلاح من أيدي حزب ما ، أو لمساعدة الجمهوريين الاسبانيين ، فان هذا الاختيار الميتافيزيقي ، هذا المشروع الوحيد والمطلق ، هو الذي يقامر عليه • وهكذا بمشاركتنا في تفرد عصرنا ، نلحق نهائيا بما هو خالد ، وانها مهمتنا ككتاب ان نستشف القيم الخالدة التي تشتمل عليها هذه المناقشات الاجتماعية او السياسية ، ولكننا لن نهتم بالذهاب للبحث عنها في افق تصوري ، اذ لافائدة منها الا تحت غلافها الراهن • اننا نؤكد عاليا ، ونحن أبعد ما نكون عن النسبية ، ان الانسان هو مطلق • ولكنه مطلق في ساعته ، في وسطه ، على أرضه • ان ماهو مطلق ، ان ما لاتستطيع الف سنة من التاريخ ان تدمره ، هو هذا القرار الذي ليس له بديل او شبيه ، الذي يتخذه الانسان في هذا الوقت بمناسبة ظروفه • المطلق هو ديكارت ، الانسان الذي يفلت منا لأنه ميت ، الذي عاش في عصره ، الذي فكر به يوما فيوما ، بالوسائل الممكنة في ذلك الحين ، الذي كون مذهبه بدءا من حالة معينة من حالات العلوم ، الذي عرف « غاساندي » و « كاتيروس » و « مرسين » ، الذي أحب في حداثته فتاة حولاء ، الذي حارب واحبل خادمته ، الذي هاجم ليس مبدأ السلطة بشكل عام بل سلطة ارسطو على التحديد والذي وقف في زمنه ، منزوع السلاح ولكن ليس مغلوبا وكأنه نصب • اما ما هو نسبي ، فهي الديكارتية ، تلك الفلسفة المتسكعة التي تجرجر من عصر الى عصر وحيث يجد كل شخص ما يضعه فيها • اننا لا نخلد بالركض وراء الخلود • اننا لانصبح مطلقين لأننا عكسنا في كتاباتنا بعض المبادىء المجردة ، الفارغة والباطلة للانتقال من قرن لأخر ، بل لأننا حاربنا بتفان في عصرنا ، لأننا احببناه بتفان وقبلنا ان نفنى كليا معه •

وباختصار ، ان نيتنا هي الاسهام في احداث بعض التبدلات في المجتمع الذي يضمنا • ونحن لانقصد بذلك تبدلا في الارواح ، بل نترك عن طواعية كاملة توجيه الارواح للكتاب الذين لهم زبائن خاصون • اننا ، دون ان نكون ماديين ، نحن الذين لم نميز أبدا الروح عن الجسد والذين لا نعرف الا حقيقة لا تتجزأ : الحقيقة الانسانية ، اننا نقف الى جانب اولئك الذين يريدون تبديل الوضع الاجتماعي للانسان ومفهومه عن ذاته في آن واحد • وعلى هذا الاساس فان مجلتنا ستتخذ موقفا ، بالنسبة الى الاحداث السياسية والاجتماعية ، حسب كل حاله • انها لن تفعل ذلك سياسيا اقصد انها لن تخدم أي حزب ، ولكنها ستبذل جهدها في استخلاص مفهوم الانسان الذي تستلهمه القضايا المطروحة وستعطي رأيها استنادا الى المفهوم الذي تتبناه • واذا ما استطعنا ان نفي بما نعد ، واذا ما استطعنا ان نشرك بعض القراء في وجهات نظرنا ، فاننا لا نتوقع زهوا مبالغا فيه ، بل سنهنىء انفسنا ببساطة لأننا وجدنا من جديد ضميرا مهنيا طيبا ولأن الأدب قد عاد ، على الاقل بالنسبة لنا ، ما كان يجب الا ينقطع عن ان يكونه : وظيفة اجتماعية •

وقد يقال ماهو هذا المفهوم للانسان الذي تدعون انكم تكشفونه لنا ؟ اننا لن نجيب بأنه يجتاز الشوارع وبأننا لانزعم اننا نكشفه ، بل بأننا نريد ان نساعد على تحديده فحسب • ان هذا المفهوم ، سأسميه كليا • ولكن لما كانت الكلمة تبدو تعيسة ، ولما كانت قد احتقرت كثيرا في السنوات الاخيرة ، ولما كانت قد استخدمت في الدلالة ليس على الشخص الانساني بل على نموذج للدولة تعسفي ومعاد للديمقراطية ، فمن المناسب ان اعطي بعض التفسيرات •

ان الطبقة البورجوازية يمكن أن تحدد فكريا على ما يبدو لي ، باستخدامها للروح التحليلية ، التي تقول موضوعتها الاولى بأن المركبات يجب أن تتقلص بالضرورة

الى نظام من العناصر البسيطة . وقد كانت هذه الموضوعة سلاحا هجوميا في الماضي استخدمته في تهديم حصون النظام القديم . فكل شيء قد حلل ، وبسط الهواء والماء بنفس الحركة الى عناصرهما، والنفس الى مجموع الانطباعات التي تكونها ، والمجتمع الى مجموع الافراد الذين يشكلونه . وامحت المجموعات ، فهي لم تكن سوى اجمالات مجردة سببها صدفة تركيبها . ولاذ الواقع بالتحديدات النهائية للتحليل . وهذه التحديدات بالفعل — وهذه موضوعة التحليل الثانية — تحتفظ بشكل ثابت بخصائصها الاساسية التي تدخل في مركب او توجد في حالة حرة . فهناك طبيعة لا تتبدل للاوكسجين وللهيدروجين وللآزوت وللانطباعات الاولية التي تكون نفسنا ، وهناك طبيعة لا تتبدل للانسان. فالانسان كان انسانا كما كانت الدائرة دائرة . والفرد سواء رفع الى العرش أم اغرق في البؤس ، يبقى في اعماقه مماثلا لذاته لأنه ينظر اليه استنادا الى نموذج جوهر الاوكسجين الذي يمكن ان يتحد بالهيدروجين ليشكل الماء ، وبالآزوت ليشكل الهواء ، دون أن يتبدل بنيانه الداخلي . وقد تصدرت هذه المبادىء اعلان حقوق الانسان . فالفرد ، وهو جزء متين غير قابل للتقسيم وحامل للطبيعة الانسانية، يقيم في المجتمع الذي تتحدث عنه الروح التحليلية ، كحبة حمص صغيرة في علبة حمص : انه مستدير تماما ، مغلق على ذاته ، ممتنع الاطلاع عليه . وكل البشر متساوون : يجب التسليم بأنهم يساهمون جميعا أيضا في ماهية الانسان وكل البشر اخوة : الاخاء رابط سلبي بين جزئيات متميزة، يقوم مقام تضامن العمل أو الطبقة الذي لا يمكن للروح التحليلية حتى أن تدركه . انها علاقة خارجية تماما وعاطفية محضة تحجب تصاف الافراد البسيط جنبا الى جنب في المجتمع التحليلي . وكل البشر احرار : احرار في ان يكونوا بشرا ، وهذا لا يحتاج الى كلام . وذلك يعني ان عمل السياسي يجب أن يكون سلبيا تماما : ليس عليه ان يصنع الطبيعة الانسانية ، بل يكفي ان يبعد العوائق التي يمكن أن تمنعها من التفتح . وكذا فان البورجوازية ، في رغبتها في تهديم الحق الالهي ، وحق الولادة والدم ، وحق البكورية ، كل هذه الحقوق التي كانت قائمة على فكرة اختلاف الطبيعة بين البشر ، قد وحدت بين قضيتها وقضية التحليل واوجدت ، لخدمتها ، اسطورة الكلي . وهي لم تستطع تحقيق مطالبها ، على عكس الثوريين المعاصرين ، الا بالتنازل عن ضميرها الطبقي : فأعضاء الحكومة الثلاثية (١٧٨٩) الى أعضاء الهيئة المؤسسة عام (١٨٤٨) كانوا بورجوازيين ولهذا كانوا يعتبرون انفسهم مجرد بشر.

وبعد مئة وخمسين عاما بقي العقل التحليلي المذهب الرسمي للديمقراطية البورجوازية ، غير انه أصبح سلاحا دفاعيا . ان للبورجوازية كل المصلحة في التعامي عن الطبقات ، كما كانت لها كل المصلحة في الماضي في التعامي عن الواقع المركب لمؤسسات النظام القديم . انها تصر على ألا ترى بشرا فقط ، وعلى المناداة بثبات هوية الطبيعة الانسانية من خلال كل تنوعات الموقف : ولكنها تنادي بذلك ضد البروليتاريا . ان العامل ، بالنسبة لها ، هو قبل كل شيء انسان ، انسان كالآخرين . واذا ما كان الدستور يمنح هذا الانسان حق الانتخاب وحرية الرأي ، فهو يظهر طبيعته الانسانية كما يظهرها البورجوازي . وغالبا ما مثل أدب الجدال ، البورجوازي كنفس متبصرة وحزينة ، همه الوحيد الدفاع عن امتيازاته . وبالفعل ان الانسان يكون نفسه بورجوازيا باختياره ، دفعة واحدة نهائية ، رؤية معينة للعالم التحليلي يحاول أن يفرضها على جميع البشر ، رؤية تستبعد ادراك الوقائع الجماعية . وهكذا فان الدفاع البورجوازي جيد في اتجاه دائم ، وهو ليس الا كلا واحدا مع البورجوازية نفسها . ولكنه لا يتجلى بالحسابات ، ففي داخل العالم الذي بناه لنفسه ، مكان لفضائل اللامبالاة ، والغيرية بل والكرم . وكل ما هنالك أن الاحسان البورجوازي هو عمل فردي يتوجه الى الطبيعة البشرية الكلية بمقدار ما تتجسد في فرد ما . وبمعنى واحد ، ان الاحسان ناجح أكثر من دعاية ماهرة ، لأن المتمتع بالاحسان مضطر الى تقبله كما يمنح له ، أي بأن يعتقد نفسه مخلوقا انسانيا منعزلا تجاه مخلوق انساني آخر . ان الاحسان البورجوازي يرعى اسطورة الاخاء .

البقية في العدد القادم

كتب في ايدي القراء

بقلم :
صدقي اسماعيل

على الرغم من الغزارة الملحوظة في انتاجنا الادبي الحديث ولا سيما في الشعر والقصة ، فا نالقارىء العربي ما يزال أكثر اهتماما بالانتاج الادبي المترجم ، وأكثر تفاعلا مع الجديد منه بصورة عامة • وتلك ظاهرة تلفت النظر ،وهي اما أن تكون نتيجة لضعف الكتاب العرب المعاصرين من حيث عرض التجارب الانسانية التي نحياها ، ومن حيث الصياغة الفنية التي تلعب الدور الاول في التأثير بالقراء واقحامهم في الاجواء التي يريدها الكاتب ، واما أن تكون هذه الظاهرة دليلا على وعي متفتح في نفوس القراء يجعلهم أكثر تطلعا الى الينابيع الغنية في الادب الحديث • ولا ريب أن هذه الينابيع ما تزال في الآداب المترجمة اغنى تجربة واخصب ابداعا •••

وقد يختلف الامر قليلا بالنسبة للشعر • ولكن ذلك لا يرجع الى ابداع الجديد في الشعر بمقدار ما يرجع الى السهولة التي طرأت على العبارة الشعرية في السنوات الاخيرة فأتاحت لهذا اللون من الأدب سعة الانتشار في اوساطمتعددة من القراء ، كما يرجع أيضا الى استهواء بعض هذه الاوساط بالمواضيع المغرية كما هي الحال بالنسبة للغزل الحسي ، واستهواء بعضها الآخر بالمواضيع القومية والاجتماعية ،التي تتفاعل بها حياتنا اليومية •

ومع هذا فان النظر في مظاهر انتاجنا الأدبي الحديث ينال من اهتمام النقاد والكتاب أكثر مما تناله دراسة الآثار الادبية المترجمة التي تقدم الى القراء كنماذج للانتاج الغني الجيد ، وتترك في الجمهور وفي الكتاب الناشئين بصورة خاصة أكبر الأثر

البيت الكبير
محمد ديب والمقاومة

يصور « محمد ديب » في روايته « البيت الكبير » هموم اسرة عربية في الجزائر ، من خلال حياتها اليومية • وعلى الرغم من النغمة الشعرية التي تغمر هذا التصوير وتضفي طابع الحزن الهادىء على سير الحوادث وكلمات الحوار ، فان هناك صفة بارزة قد تكون مصدر الاصالة في أدب محمد ديب ، هي الصلابة أو القسوة التي يرسم بها ملامحاشخاصه وقد كتب بعض النقاد الفرنسيين عن « ديب » ان فيه شيئا من جفاف الصحراء ، واشار ناقد آخر الى أن اسلوبه مجهد •• والحقيقة ان رواية « البيت الكبير » تكشف عن واقعية فريدة في الاداء القصصي ، تتصفبها جميع كتابات « محمد ديب »تتمثلفي كونهاتتناول المواقف المتسائلة أكثر مما تتناول تصوير الواقع الحي • ويبدو الانسان في هذه المواقف كائنا يحمل مصيره في معاناة وجهد ، ويحرص على قدره ، وهو في الوقت نفسه ، يريد أن يتزحزح من مكانه لأنه يشقى ، غير أن هذه الارادة ليست تمردا على القدر أو ثورة على الشقاء ، بلنزعة الى أن يجدد عزيمته فيقوىعلى حمل قدره•

ان انسان محمد ديب لا يرفض ، ومن ثم فهو ليس ثوريا بالمعنى المألوف ، ولكنه يقاوم • وفي ذلك معنى أبلغ للروح الثورية • فالرفض يمكنأن يكون موقفا فرديا ، وقد ينطوي على الانعزال أو حب الاعتداء ، وهو يحمل في الوقت نفسه

انفعالا عاطفيا • أما المقاومة فانها لا تجد سبيلها الا في الروح الجماعية والحرص على بعض التقاليد التي تتيح لها الصمود والاستمرار ، وهي تستمد بقاءها من الجهد والارادة الصارمة التي تبلغ أحيانا حد الاصطبار واحتمال الاذى •

وعلى هذا النحو تبدو اشخاص محمد ديب نماذج لا اناسا عاديين ، على الرغم من أنه لا يلتزم التعبير عن قضية أو فكرة • ولكنه مع ذلك يجسد شيئا من روح المقاومة في طبيعة العربي المعاصر من خلال ينابيعها الاصيلة: جماهير الشعب ••

هل تحبين براهمز
ساغان والعزلة •••

قال سارتر عن « فرانسواز ساغان » ان نبوغها الادبي يرجع الى أنها استطاعت أن تصور التغير في الطبيعة البشرية• ويرى سارتر أنه ليس في عصرنا أي ظل بطبيعة بشرية ثابتة ، بل تغير دائم ، ومن ثم فان فرانسواز ساغان هي أديبة معاصرة بكل معنى الكلمة •

وقصتها الاخيرة « هل تحبين براهمز ؟ » نموذج بليغ للاسلوب القصصي الذي تميزه هذه الصفة • ومن هذه الناحية يمكن أن تنظر الى القيمة الادبية لجميع مؤلفات هذه الكاتبة الشابة •

والشخصية الرئيسية في قصتها الاخيرة هي امرأة تكتهل ، فتحاول أن تضع قدمها على أرض يابسة ، وكانت العاطفة التي تحمل أبدا عدم الاستقرار ، ميدانا لهذه المحاولة• ولكي تعطي المؤلفة خطا واضحا لتجربة هذه المرأة ، عزلتها عن كل رابطة تربطها بالآخرين ، وحرصت على أن تضعها وجها لوجه ، أمام الانفعال ، أمام قضية الجسد والحب ولا شيء آخر •

وهذا التحديد الذي نجحت ساغان في ابراز ملامحه ، جعل القصة أشبه بقصيدة هادئة ، صافية الحوادث ، مفعمة بحرارة الحس ، تساءل كثير من النقاد أمام براعتها الادبية ، هل يمكن أن تنقد ؟••

غير أن القارىء العربي يجد مجالا للتساؤل عن التجربة الانسانية في هذا الاثر الادبي من خلال ثلاث نواح :

الاولى هذه الفردية الضيقة التي تدور في اطارها المغلق تجربة امرأة أنانية مع أشخاص آخرين أشد انغلاقا على نفوسهم وأكثر تعلقا بأنانيتهم • والجميع لا يرون من العالم الا الزوايا التي يمكن أن تكون لهم موضع لذة أو رغبة •

والناحية الثانية أن بطلة القصة عشيقة لا ظل في وجودها لاية رابطة اجتماعية أو فكرية أو خلقية ، وخلاصة ما يمليه عليها وعيها أن تكون عشيقة أيضا على النحو الذي يمنحها شيئا من طمأنينة النفس •

والناحية الثالثة هي كآبة الجسد• فعلى الرغم من الكثيرين من القراء يعنون بالتفاصيل الجنسية في كتابات ساغان ، فان اليأس من هذه الناحية يرصد خطى الانسان الذي تصوره في كل تجربة • وقد يكون ذلك نتيجة للعزلة القاسية التي تفرضها المؤلفة على اشخاصها فيبدو فيها الجسد مع الرغبة كأنه على الهم والظلام ، والواقع ان هؤلاء الاشخاص هم صورة الانسان الذي يفقد الشعور بنعمة الحياة حين يفقد الايمان بشيء جدير •••

الدون الهادىء
شولوخوف والواقعية •••

ظهرت الترجمة العربية لرواية « الدون الهادىء » للكاتب الروسي المعاصر ميخائيل شولوخوف• وشولوخوف هو أبرز وجه للادب السوفياتي الحديث ، والمعروف أن هذا الادب قد طرح منذ البداية قضية « الواقعية الاشتراكية » وكان شولوخوف مرافقا لهذه البداية ، غير أنه كان حريصا على أن يبعد عن انتاجه كل نظرة مذهبية • وقد قال مرة أنه لا يعرف ماذا تعني الواقعية الاشتراكية ولا يعرف هل هو من ممثليها أم لا •

والواقع أن شولوخوف قد حافظ في هذه الرواية على تقاليد الواقعية الروسية في أدب القصة ، هذه التقاليد التي ترجع الى غوغول وديستويفسكي وتولوستوي • وأبرز ما فيها تصوير الواقع الحي في اطار تجربة انسانية معينة ، وقد كان صعيد هذه التجربة في انتاج الادباء الروس مستمدا من تجربة المؤلف وشخصيته ، وأرادت الواقعية الاشتراكية

أن يكون هذا الاطار تجربة الثورة الاشتراكية ، وهي تعني الدفاع عن مذهب • وقد قال مكسيم غوركي مرة أن كل انتاج فني حق هو تعبير عن فكرة •

وقد هوجمت الواقعية الاشتراكية في عنف ، خلال السنوات الاخيرة ، لا لانها تلزم الادب والفن بقضايا الحياة أو بالدفاع عن الافكار ، بل لانها تفرض شكلا معينا للحياة التي ينبغي أن يستقى منها الانتاج ، وتحدد الافكار التي يجب أن يناضل من أجلها •

وقد رفض شولوخوف هذا التحديد في روايته الكبيرة هذه ، فصور الحياة الشعبية عند القوقاز في عبقرية الفنان الذي يتصيد من الواقع الانساني خيوط أدائه الفني دون أن يلتزم من قضايا الانسان الا التعبير عن حرارة التجارب التي يحياها أولئك الذين نسميهم أناسا بسطاء ونعني بهم عامة الشعب ، وهم في الواقع يحملون من المتناقضات ما يجعل حياتهم أغنى تجربة ، وأغزر بالمعاني الانسانية •

وقد عني شولوخوف باصطفاء الجوانب العنيفة من الواقع الانساني • وتلك ظاهرة واضحة في جميع قصصه ، وهي تنم عن جنوح الى تلمس المأساة في الحياة الانسانية • وعلى الرغم من الامل الذي يلوح في صفحات شولوخوف ، فان ما يميز تجربته الادبية هو الحرص على حيوية الاداء قبل أي شيء آخر •

ولعل ذلك ما جعله بعيدا عن كل التزام محدود •

لوليتا

التذوق الفني أولا ...

كان نشر رواية « لوليتا » نوعا من الفضائح الادبية التي تتغذى بها الصحافة اليومية بين حين وآخر • ولعل نقلها الى العربية يرجع الى الشهرة العالمية التي نالتها في هذا المجال ، غير أن ذلك لا يفقدها شيئا من قيمتها الفنية • فهي أثر ادبي رائع ، يحمل من الشعر والحياة بمقدار ما يحمل من الاستهتار والعري •

وتضم صفحات الرواية قصة حب جارف يعيد الى الاذهان صور العاطفة الجامحة التي خلدت في كثير من الآثار الفنية الكبيرة كروميو وجولييت ومانون ليسكو وغادة الكاميليا وتريستان وايزولت • غير أن التفاصيل المتشعبة التي امتدت اليها ريشة المؤلف في جرأة تبلغ حد الوقاحة ، أضفت على هذه الرواية طابع الادب المثير • ومن المؤسف أن هذه التفاصيل هي أكثر ما ينال من اهتمام القارىء ، ولا سيما في بيئة كبيئتنا يستحوذ عليها التحفظ بتقاليده •

واذا تركنا الناحية الاخلاقية جانبا ، والقصة صورة للفساد من هذه الناحية ، فان في الناحية الفنية خطرا أكبر •

فكثيرا ما يلتمس القارىء العربي في هذا اللون من الادب معرفة الانهيار الذي ترديت فيه المجتمعات الغربية ، ويستقي منه الكتاب تجارب مؤلفاتهم ، وقد برز على هذا النحو نشر الكثير من صفحات الادب الاسود والادب العاري وغيرها ، ولكن الادب في الحقيقة ليس وسيلة للاطلاع فحسب ، بل هو وسيلة تفاعل بين الناس ، فالقراء يتأثرون بما يقرأون ويقلدون ولا سيما عندما يكونون في مجتمع متفتح يحاول أن يبدل قيمه وشروط الحياة فيه • والادب الذي تنتمي اليه قصة « لوليتا » مهما يكن بارعا في الاداء الفني يحمل الينا الضعف من عدة نواح ، أهمها اعتبار التجربة التي ينضح منها المؤلف حوادث قصته ، تجربة انسانية سليمة • وهي في الواقع مظهر مريض كما يقول المؤلف نفسه ، ويمكن أن نشير في هذا المجال الى بدعة الهم والقلق التي حملتها الى الجيل ترجمة بعض كتب الادب الاسود •

وثمة ناحية ثانية هي القاموس الذي يستمد منه أصحاب هذا الادب مفرداتهم • وقد أصبحت الالفاظ النابية والصور القذرة بتأثيرهم من مظاهر « الصدق » والصراحة انتاج كثير من الكتاب الشباب ، وليس غريبا أن تصبح من تقاليد الكتابة، وفيها ما يهدد التذوق البديعي من مجتمعنا وهو ما يزال في بداية تفتحه ونموه •



« ايام معه »

فتح جديد في عالم القصة .. والفن ! !

بقلم : عبد الله الشيتي

من جمعية الادباء العرب

الادب الحق في رأيي ، وفي رأي الكثيرين : تجربة !

وليس ثمة مدلول لما هية التجربة او التعريف ، غير « كلمة » فحسب ، هي « الاخلاص » للتجربة !

وعلى هذا اتيت على كتاب « ايام معه » ، القصة الجديدة ، من غلافه الى غلافه بشغف الذي خامره الشك في الادب النسائي ، واستبعد ان تقوم بيننا .. امرأة !!

لا جرم ، ان التفرد والعمق ، هما صفتا الاساس في كل أدب معطاء حي ، تتفاعل فيه قدرات مبدعة خلاقة ، يرتمي الحرف ازاءه ساجدا بعفوية طيبة وقدسية أطيب ، فيتوالد هذا العطاء نتاجا فيه امتداد قوي ، وفعالية اقوى ، واستمرار صعودي نحو التكامل الانساني .

ولا جرم ، انه لن يختلف معي اثنان ، في ان اولى متطلبات الادب هي أن يكون مخلصا مع الذات التي تخلقه ، ومع النوعية التي تكيفه ، والتي يتسم طابعها الواقعي به ..!

ذلك هو الاثر الادبي الحق الذي يتربع في القمة ! والاثر الذي نقرأ ، متكامل في ما ارادت له مؤلفته كوليت سهيل الخوري من تفرد وعمق ، لأنه صفة الاساس في ما اعطت من تجربة اخلصت لها ، وتفاعلت معها ، وانتقت لحفظها ، اطارا من النظافة !

نظافة في الحرف ، ونظافة في الكلمة، ونظافة في الاسلوب، ونظافة في الفكرة مهما اوتيت من جرأة !

ولطالما يشكو الشاكون ، من انعدام « النظافة » في غالبية ما تلفظه المطابع من نتاج ، بين الحين والحين ، الى أن اطل « أيام معه » من نافذة فتحتها مؤلفته على ربوع الحياة ، بما فيها من خير وشر ، من حب وفن ، ومن وجود وعدم ، ومن خصب ، ودفء ، وشعور .

والكاتب الذي يكتب ، اثنان : واحد يكتب بسهولة فنقرؤه بصعوبة ، وآخر يكتب بصعوبة فنقرؤه بسهولة .

ولقد قرأت كوليت ، كما لو لم اقرأها من قبل ، فألفت انني أقرأ سطورها ومعانيها بسهولة اجتراع الماء ، وان الصعوبة كامنة في « كيفية » تفجيره من ينبوعه الثر الصافي ، وتقديمه للعطاش من بعد ظمأ شديد .

لقد كانت كوليت الخوري مخلصة مع العصر الذي تعيشه ، والبيئة التي تستقبل الحياة فيها ، والعصر ليس الحياة ، لأن العصور تتغير بتغير الافكار التي تقودها ، وليس العكس واردا ، والافكار هنا ، هي التي تخلق لا تلك

التي تربي • اذن ، فان على الادب ان يكون مخلصا مع الانسان •• مع كينونته ، والادب ، اذا لم ينبع من اعمق الاعماق ، وادق الاحاسيس ، وارهف المشاعر فقد الكثير من روعته واصالته واخلاصه ، بل يغدو مجردا من كل اثر للروعة والاصالة والاخلاص •

أنا كثيرا ما اتساءل مع نفسي : لو مشى دوستويفسكي في ركاب عصره لما كان منه ماكان ، ولو اطاع بودلير رفاقه لما خلدت له ازاهير ، ولو ان شكسبير عبر مصورا ما يحيط به لما استطاع ان يتحدى شموخ الحياة ، وشمول العبقرية الانسانية • واني أرى كوليت كما وصفتها من قبل ، تتلقى دروس ارادة ال « لا » و « الأنا » ، من يد الطبيعة التي لا تمل الصراع •• طبيعة الاصرار على ممارسة ما هو حق ، وواجب ومسؤولية !

وستجد من خلال قراءتك الكتاب ، أن في رأس مؤلفته الف فكرة وفكرة تتراقص جذلى ، يغمرها فيض من الثقة ، والف صورة وصورة تلتمع في ذكائها يسربلها التفاؤل ، الزاهي منها والضاحك ، والقاتم والعابس ، وكلها صور حية ، كانت تهمس في آذاننا أو تصرخ وترقص أمام أعيننا ثم تتلوى :

« لماذا أكره الربيع ؟•• ألأنه يعود كل سنة وأنا عابرة ؟•

« ألأنه خالد •• و « أنا » أسير نحو الفناء ؟••

« أنا أتفتح مع الربيع •••

« أنا بحاجة الى أن أملأ الدنيا بأزهار ربيعي ••

« أنا بحاجة الى أن أسكر الدنيا بعبير أزهاري ••

« أنا بحاجة الى فضاء رحب •• الى سماوات جديدة •• الى آفاق جديدة ••

« أنا أكره الربيع لانه يذكرني بحدود حياتي •

(ص ٣٨٦) •

هذه « الانا » أحسبها فلسفة الفلسفة !

انها في تضخمها ، وتضخمها ، عطاء يتوزع خيرا ، ومحبة ، وقلقا ، وهاجسا ، ومشاعر تنبض بحب الآخرين ، وبكره الآخرين !

ومن لا يعرف كيف يكره ، لا يعرف كيف يحب •••ومن أحب ، وهو ممعن في عطائه اللامتناهي ، عبر الحياة ، بسلبيتها وايجابيتها كان انسانا •• انسانا يجدر به أن يحيا ••!!

وتميل القصة الحديثة ، في أدبنا الحديث ، الى الاخذ بالاسلوب الشاعري الدافىء ، البعيد عن التقعر ، والتعقيد ، والرتابة المملة وتزخر قصة « أيام معه » بشاعرية حرورية مطلقة •• وهاك في (ص ٢٤٠) ما يدلك على « الحس » ينبض في سرد « الحادثة » المجردة بأداء طري ، وأسلوب سلس :

« لبست ثوبي الاسود •• كان شحوبي يضفي على وجهي النحيل لحنا حزينا رقراقا •• وكانت عيناي الذابلتان تلمعان خلف الدموع المكبوتة •• وتبدوان أكبر مما هما ••

« تأملت نفسي في المرآة •• وشعرت بحزن !

« لمن هذا الشباب ؟•• لمن أعتني بنفسي؟ الجمال يستطيب الرفاهية •• ويتطلب العزة ، ويستحق السجود ، وأنا أفني شبابي مع رجل لا يقدره •• ولا يقدرني •• » !

لقد بلغ الاداء من القوة ، بحيث حبلت كل كلمة بمولودها ، فوضعته معنى سائغا ، مشوقا ، ينساب الى القلب بهدوء ، ويلامس الوجدان ، ويطرق باب الروح من غير ما ازعاج ولا ثقل ، بل هو يتوضع في اناء صاف من « البللور » تنعكس على صفحته دخيلتنا ••

وفي الحوار ، تجد « الحبكة » متوفرة ، والعمق واضح ، والمواجيد متفتحة كما في الصفحة (٩٦) حيث يأتي الحوار ذاتيا بشكل « مونولوج داخلي » يحمل في أعطافه أكثر من جواب مشفوعا بأكثر من علامة استفهام تتمطى :

« أنا أمام مشكلة ! مشكلة سهلة جدا وبسيطة جدا ••• ولكنها مشكلة •• •

« هل أرافق زياد الى « السينما » ؟

« ولكن ••• لماذا لا أرافقه •• » ؟

« طبعا •• ان أول جواب يتبادر الى ذهني هو : لان التقاليد تمنع ذلك •• »

« وفجأة ••• ضج رأسي بالاسئلة •• ما هي التقاليد » ؟

وهنا تمضي كوليت سهيل لتضع « العلاج » في برشامة « الحدس » وتزيح الستارة عن المسرح لتعطي « الحقيقة » صفة المسرحية العارية ، من غير رتوش ، ولا موعظة •• فاذا بها تضرب رقما قياسيا في محاولة شفاء المجتمع ، أو شفاء المريض : « كلمة تقاليد كما أفهمها أنا •• هي نموذج للعيش •• عادات •• اتفق عليها مجتمع منذ مئات ، بل

الوف السنين •• لكننا الآن في القرن العشرين ، لقد تبدل المجتمع ، وتغيرت العقليات ، وتطور تفكير شعبنا ••

« كل شيء تطور الا التقاليد » •

وهذا صواب وحق ، لان من يقف في وجه التيار ، يجرفه التيـار ، ويرفده الى شواطىء مجهولة البداية • مجهولة النهاية •

وتظل مسترسلا مع كوليت ، تطلب مزيدا من العلاج من غير ازعاج ، فتعطيك الصورة الواضحة عن مجتمع النفاق : « أصبح الناس يتحلون بالبخل ، وأصبحت المنفعة الفردية هدف كل فرد •• صار الاخ يخون أخاه ، وأمسى الشباب ينكرون واجب احترام الكبار ، لان الحضارة في مفهومهم هي الغرور •• والوقاحة !

« كم من فتاة تذهب وحيدة الى السينما •• وعندما تطفأ الانوار ، يأتي صديقها ، ويجلس الى جانبها ، ويتحاشى البقاء معهـا حتى نهاية العرض ، فيخرج قبل أن تضيء القاعـة الانوار ؟ •• »

* * *

ليس هذا أحسن ما في القصة •• انه غيض من فيض •• انني أتساءل عن « العدمية » التي يراد أن تلصق بالقصة ••

أم هي كلمة نسوقها لوجه الكلام ليس أكثر ؟•• ان « أيام معـه » ليس الا ايمانا يقرع ناقوس الخطر يتهـدد مجتمعنا •• انه الايمان بالصراحة ، والمحبة ، والانسانية ، والفن ، والحرية النقية •• أفتكون هـذه القيم مجتمعة : « عدما »؟• أن « أيام معه » كتاب يجب أن يقرأ وأن يعاش، لاننا يجب أن نعرف أنفسنا ، وأن نستبين معالم طريقنا •••

ونعود « لمقومـات » القصة ، بالرغم من زهـد اكتراث المؤلفة ـ شخصيا ـ بتوفرها أو « عدم » توفرها •• ذلك لان القصة ، أو الكتاب ، اشتمل بين دفتيه في مجموع ال « ٤٠٠ » صفحة الانيقة على زوايا ، ومرايا ، وحكايا ، وشاعرية ، وآراء ، وفنون ، ما كان لقصة حافظت على خطها البياني أن تستوعب ذلك جميعا !!••

أفننكر الجهد والقيمة في تلك الدفقات الفاعلة ونجردها من الاصالة الخالدة ؟••

حرام ••

وعقوق ••

وتنكر لمبدأ النقد النزيه المجرد !••

وتعالوا نقرأ شيئا من « الحوار » الذي هو أحد مقومات القصة :

ـ يا ريم •• أما رضيت بعد ؟ أنت تحملين الامور أكثر مما يجب !

ـ لا يا زياد •• شيء قد تحطم في داخلي •

ـ أأنت لا تحبينني ؟

ـ ليس هذا مهما •• بلى أحبك ، ولكن •• أصبح شيء يبعدني عنك ••• هاوية تفرق بيننا ••

أخال أنه شيء جميل من نموذج للحوار السليم المشبع بالمعنى ، الممتلىء قيمة !!

انتصرت كوليت في شعرها على غيرها ••• وانتصرت في نثرها على نفسها •• ولاذ بها الحرف ، تباركت قدرته ، يبايعها زعامة الجمال ••!

أما القصة ، فكرة ، ككل ، فماذا يجب أن تحتوي ، وعلى ماذا يجب أن تشتمل ، أكثر من احتوائها الصراع الظافر ضد التقاليد البالية ، والمعتقدات المهترئة بما لا طائل منه ، والايمان بحق الحياة •• والحرية •• في حدود الكرامة الذاتية •• والعمل من أجل الفن •• وانتصار الفن للفن •• والانتصار لواقع الاخلاص ، وتشجيع المحبة ، وبذر الخير في قلب الانسانية •• في قلب كل انسان •• وحكاية حب غافية على كتف الحياة •• ؟ ••

ماذا يجب أن تشتمل ، أكثر من هذا الشمول الحياتي المتفوق ، وأكثر من هذا الغوص العميق •• العميق ••؟

ان « أيام معه » سفر •• انه قطعة قلب ، وفلذة كبد ، وروح تنتصر على شوائب الارض وأدران المادة •• وقوة تتفجر بالجمال ، ولا شيء أخلد من جمال الروح•• والفن•

انه حياة قائمة بذاتها •• وان كوليت تنفخ في جنبات هذه الحياة من روحها وقلقها اليقظ ، متحدية الجبن ، ممزقة سجف الظلام ، تسهم في وضع لبنة البنـاء ، واقامة صرح مجتمع مثالي صريح •• في ضوء النهار ••• !

* * *

سيدتي : يا أختي يا كوليت ••• أقول لك كرة أخرى : ان الايام التي قضيتها في قراءتك على حقيقتك ••• كانت من ألذ أيام حياتي !!••

عبد الله الشيتي

العدد الماضي في الميزان

نقد : محيي الدين صبحي

الشعر

عشر قصائد .. ليس فيها سوى القليل مما تمكن قراءته والاحساس بأن فيه شعرا حقيقيا ينفح القارىء بدفقة شعورية تكمن وراءها تجربة معاشة . ان روح النظم تسيطر على كل المقطوعات ... والترتيب النثري للافكار يملك على الشاعر طريقه بحيث يفقده القدرة على انتقاء عناصر التجربة وتنظيمها بشكل يبعدها عن روح المقالة . ان السيالة الشعورية لا تبرز أبدا وانما الذي نقرأ هو الافكار المنظمة المنطقية التي تفقد كل رفيف وتخضع لروح السرد .

هذا الشعر اذن جسد بلا روح ، ان روح الشعر هي معنى العصر وقلقه والاطلال من الجزئي الى الكلي ومن المحسوس الى المجرد ، لذلك تحمل القصيدة معنى الرمز ، وتكون القصيدة الجيدة كالماسة لها عديد من الوجوه ، فيراها كل قارىء من زاويته ... وهذا هو الغموض الحلو ، والشفافية البريئة التي تسود الشعر . وهذا يقودنا الى الحديث عن قصيدتين من أشد القصائد ابهاما – لا غموضا . والابهام في اللغة استغلاق المعنى على القارىء ، أما الغموض فهو اختفاء المعنى وامكان فهمه بعد جهد . والفرق كما نرى شاسع عظيم بين أن يقول الشاعر كلاما يمكن فهمه بعد كد وجهد ، وبين أن يتلفظ الشاعر بمجموعة من الكلمات المتناقضة التي لا توصل الى معنى ولا تعبر عن شيء ، كما هي حالنا مع الشاعر فؤاد العادل الذي جهدنا في الغوص عن خوافي معانيه فلم نجده يرمي الى شيء سوى طرح بعض تجريدات جمالية استعمل أكثرها من قبل ، ثم ماتت المدرسة جميعها بعد أن ازدهرت في لبنان على يدي سعيد عقل وصلاح اللبكي وصلاح الاسير . ان القصيد عنده مفكك يفتقد الى وحدة تجمع أجزاءه ، وقد ظننا في بادىء الامر أنه ينحو منحى السريالية في تجنب المتعارف عليه والجنوح الى اللاشعور ثم وجدنا أنه ليس بذاك . وبما أننا عجزنا عن تبين روح موحدة للقصيدة فسوف نأخذها أبياتا مجزأة ونكشف عن بهلوانية عجيبة ... أقل ما يروى فيها أنها احتقار للقارىء

تبدأ قصيدة « حلول » بهذا المطلع :

ورغم اساري

منحتك عهدا

خليع العذار

اننا لا نعلم سبب أسره وما هو الشيء الذي يأسره، فالمطلع كما نرى منبت مقطوع يفجأ القارىء ويروعه ، فاذا تركنا الكلمتين الاولين وصلنا الى جملة متناقضة لا يمكن أن تعني شيئا سوى أنها تقيم الوزن والقافية . « منحتك عهدا خليع العذار » العهد هو قيد يلزم الانسان بأشياء معينة عليه أن يفعلها أو يتجنبها ، أما تعبير « خليع العذار » فيعني أنه اتبع هواه وصار يفعل ما بدا له ، وهذا يناقض معنى العهد ... وبذلك يصبح المعنى الكلي لهذا المطلع : « انني سجين فاقد الحول ، ورغم ذلك عاهدت حبيبي ، وأعطيته وعدا لا أتقيد فيه بشيء » !

ويشهد الله أنني عاجز عن فهم مثل هذا الكلام . فاذا تمالكنا أعصابنا وتابعنا قراءة القصيدة وجدنا صورة لا تستطيع بحال أن تقوم بواجب الصورة في الشعر :

وألفيت عندك في ظل ليلي ألف نهار

نوافير طيب

ووجد حبيب

وشبابة في يدي عندليب

ان هذه الصورة « شبابة في يدي عندليب » غريبة مضحكة متناقضة .. لا تؤدي أي معنى ، فالعندليب طائر يغرد وقد يمسك بقائمتيه بعض القش ليبني عشه ، أما صورته وهو حامل شبابة طويلة وقد مد منقاره اليها فازدادت طولا ... انها مستحيلة ان لم تكن مضحكة تذكرنا بالسيرك والحيوانات

المدربة على القيام ببعض أفعال الانسان • وتستمر القصيدة :

أطليت بالبوح والاغنيات

ويبدو أن الشاعر قد سها عن التصريف الصحيح للفعل المضعف « أطل » اذ أن الحاقه بتـاء المخاطبة يفك ادغامـه فتصبح « أطللت » وليست « أطليت » •

والقصيدة تنتقل بعد ذلك الى نوع من التصوير العادي الصريح لشهوة أنثى يقول في وصف فمها :

عواصف فل

وثغر مظل

على ضفتيه

التشاويق تغلي

ولنتأمل ذلك الثغر الذي تغلي فيه التشاويق كما تغلي الطبخة على النار •• وأحب لفت نظر القارىء الى خشونة كلمة « التشاويق » بالمقارنة مع كلمة لطيفة هي « الشوق » ! وبعد أن نمر في بركان الشهوة الذي « تغلى فيه التشاويق » وفيه أيضا « ساقية من صهير الرخام » نصل الى النهاية التي تتم اظهار نرجسية الشاعر اذ أن المقاومة تنهار :

فدكت سدود

وأهوت حدود

وعانق قلبك

قلبي الودود

واستسلمت الانثى ! وتم الحلول بين الرجل والمرأة •

أما قصيدته الثانية « ثلوج » فأدهى وأمر • انها مجموعة كلمات لا رابط بينهما أبدا • اسمعوا :

شظايا قبل ••• وخفق أمل

وفل وباسم ••• وعرس وخاتم

ما معنى « فل وباسم » ؟ • ولكن لنتم طريقنا :

ونول نسيج ••• ورجع نشيج

ما هي العلاقة بين نول النسيج وبين البكاء المخنوق ؟

ان القارىء العادي سوف يذهل ويشك بنفسه ويعتقد أن هذا الشعر فوق مستوى فهمه • ولكن نحن لن يخيفنا هذا الابهام الفارغ من القصد والخالي من المعنى • لقد أرسل الله على فن القصة بهذا البلد مصيبة بقصاص يعتمـد على توتر الالفاظ وتجريدها الفلسفي ••• ونرجو ألا ينتقل هـذا المرض الى الشعر •

* * *

القصيدة الثالثة التي نلمح فيها بعض الجهد وبعض المحاولة في انشاء شعر هي لشاعر يجود في بعض المقطوعات ويمكنه اذا داوم الصقل أن يقدم لنا شعرا حديثا يحمل تجربة • هذا الشاعر هو خليل خوري في قصيدته « الى طفلة مدللة »• ولاعترف بأنني شديد الاعجاب بمطلع قصيدته ففيه تساؤل استنكاري يغمر القارىء منذ الحروف الاولى بجو تجربة انسانية فيها لوعة وصدق :

« ما الذي تعرفين أنت عن الحب، عن الموت، في سبيل ابتسامة عن ضياع الانسان، عن ثورة الاشواق، عن سهد مقلة مستهامة »

هذان البيتان يعرضان تجربة الاسى بأكثر ما فيها من حنين ملتاع ، يتحدثان عن ضياع الانسان في غمرة أشواقه الثائرة، وقلقه المؤرق في عالم الحب ••• وهو يعرض عذابات العاطفة من خلال منولوج نفسي وحوار للشخص المخاطب ، يمكنه من أن يقول ما يريد دون أن يقع في السرد الممل بل على العكس يلون أسوب الخطاب بالسؤال والتمني ••• سوى أن في القصيدة تخلخلا ينتج عن منع الشاعر لعواطفه من الانسياب • انه يقصد الى التركيز والتكثيف فيما يظهر ، لكن ذلك حرمنا من الانغماس في جو التجربة التي يريد الحديث عنها • كما أن الطابع التعليمي التلقيني يظهر في المقطعين الرابع والخامس لولا طلاء الصنعة في تتابع المعنى على جمل قصيرة سريعة ولولا تلك الوحدة العاطفية التي تفرض التجربة كلها على الشاعر والقارىء معا •

ان هذه القصيدة على ما فيها خير قصائد العدد فاذا غادرناها آسفين وصلنا الى نوع من النثر المنظوم الذي يحار فيه النقد والناقدون : فأحمد الصافي النجفي شاعر منعزل عن عصره وعن كل التجارب الشعرية والحياتيه فيه • اسمعه يقول :

وخذها قوافي ان أنشدت

تروع الكسائي والاخفشا

ولو تليت سالفا أخرست

جريرا وحسان والاعمشا

اسمعه تجده بعيدا عن كل ما حولنا !

وشاعر آخر ••• هو رفيق فاخوري ••• نجده يخالف - عن عمد فيما سمعت - كل مفهوم حديث للشعر ، الشعر ايحاء ، وهذا يعني تحميل الكلمة اضافات معنوية وعاطفية

وازاحتها عن معناها اليومي ... لكن شاعرنا قدير على ازالة الشفافية عن كل كلمة، قدير على احاطةالكلمة باطار وحدود تلزمها مكانها فلا توحي بأكثر من معناها اذا عرضت في مقالة، وهو ميال الى الاقدمين ومحاكاتهم :

مرت ، على أهدابها حلم
حسناء من أسمائها الظلم

أي أنها تظلم . وهذا مطلع عباسي . أما الالفاظ المحددة التي لا تجود بخيال ولا نغم فتجدها في كل القصيدة ...

في تيه أحلامي مصورة
وبخاطري الواعي لها جسم
لو كان يشفيني التوهم لم
يوحش سمائي ذلك النجم
وهصرت بالكفين -من شغف-
ذا نغمة تقبيله حتم

ان اللفظ مفصل على قدر المعنى تماما . وتلك مزية النثر العلمي فيما أعتقد !

أما قصيدة السيدة عزيزة هارون فتمتاز بمقدرتها على لزوم ما لا يلزم ، اذ أن القافية تسير على روي النون واطلاق الالف مما يجعلها أجمل حين الالقاء منها حين القراءة .

قصيدة « كن الها » هجاء يجنح الى السخرية ... ولها صفات شعر الشاعر رفيق الفاخوري مع الاستغناء عن اللغة الفصيحة التي يمتاز بها الاستاذ رفيق. وأظن أن البيت التالي مكسور جدا :

أنت لا عقل ، لا معارف ، لا رأي
جهول . وهل تجهل جهولا ؟ ؟

وتمتاز قصيدة « بردى » ببحر راقص وبوصف فني له وقع في النفس وجذور في الواقع اليومي. انني أتمنى للشاعر باكير محمود أن يتصل أكثر بشعراء العصر : « بدر شاكر السياب » و « نزار قباني » و « نازك الملائكة » و « سلمى الخضراء الجيوسي » وغيرهم ... لان في شعره احساسا رهيفا وتلاوين جميلة لا يجوز له أن يضيعها في وصف عابر بل يجب أن يقرأ كثيرا عن « الازمة » الانسانية في القلق الحياتي .

انني أتفاءل خيرا بهذا الشاعر اذا طور نفسه وابتعد عن « المعلمية » التي تبعده عن التجربة وتقربه من التزييف .

ان كل ما مر من شعر - على الرغم من افتقاده للعمق والفن - مقبول اذا قسناه بالابتذال الذي يملأ قصيدة «منتظرة الباص» .

اليكم شيئا من « عرض حال المحروم » :

صبحاء ، لو جاد الزمان بمثلها
يوما علي ، لطار عقلي للسما ...

يا أيها الشاعر ... احترم عقول الآخرين اذا طار عقلك واليكم شيئا من الخيال الفني اللطيف :

والساق تشنق من يراها ان بدت
ترقى على مرمى النواظر سلما ...

عافانا الله من مثل هذا الشعر وهذا الشعور ... وأجاب دعوة الناظم التعليمي « علي دمر » حين قال :

ويا أرض يا أمنا رحمة
تباركت يا أمنا الحانية
أظلي الجميع بعطف الجميع
وحب السلامة والعافية

محيي الدين صبحي

« القصة » نقد : جورج طرابيشي

في العدد الماضي من « الثقافة » ثماني قصص موضوعة ، وواحدة مترجمة . القصص الموضوعة هي : « لن أعود معكم أبدا » للسيدة الفت عمر الادلبي ، و « أنا والعدم والقلب الصغير » لعادل سلوم ، و « العودة » لجورج سالم ، و « مجنونة لكنها امي » لعبد الله الشيتي ، و « ذكريات قاسية احيانا » لهاني الحاج ، و « جوع وضياع وضجر » لاسامة بيرقدار ، و « لن يعود » لمحمد بشار القاضي ، و « طير النيل » لنديم أحمد طابوشه .

وأنا أقول ثماني قصص ليس لأنها قصص حقا ، بل لأن فهرس العدد هكذا يقول . وفي الحقيقة ان القصة الوحيدة الموضوعة في العدد الماضي ، التي يمكن ان تسمى قصة ، هي « العودة » لجورج سالم . ومع ذلك فأنا سأتكلم عن ثلاث « قصص » : « العودة » لأنها القصة الوحيدة ، و« لن أعود معكم أبدا » لأن كاتبتها تعتبر عادة « قصاصة شامية » ، و « أنا والعدم والقلب الصغير » ليس باعتبارها قصة ، بل باعتبارها ظاهرة اجتماعية هي رمز لفئة كبيرة من الادباء

الناشئين الذي ضاعوا في ضباب الالفاظ الكبيرة .

تعتمد « العودة » على لقطة انسانية ـ وكل ماقرأته لجورج سالم يعتمد على لقطة انسانية ـ فالعم شاكر غادر بلدته منذ سنوات طويلة ليعمل في بلدة أخرى ، وعندما أحس بأنه أصبح كثمرة ناضجة جدا لا بد أن تسقط ، أراد أن يعود الى بلدته لينتظر فيها الموت . وكانت احلام رائعة كبيرة تعمر قلبه وهو في طريق « العودة » الى البلدة التي لم يرها منذ عشر سنوات . ولكن كل هذه الاحلام ماتت في مهدها عندما وصل شاكر الى بلدته وقوبل بالجفاء من الجميع ، فلا أخوه ولا أختاه يرغبون فيه ، وما حاجتهم الى عجوز لا نفع فيه ، على عتبة القبر ، ذي ثياب رثة ؟ ويموت الامل على شفتي العم شاكر ولا يجد افضل من أن يعود من حيث أتى .

فالقصة اذن انسانية ، بل وانسانية جدا ، قصة كل انسان يكتشف في احدى لحظات ما تبقى له من العمر انه لم يعد مرغوبا فيه ، وان الآخرين يعتبرونه قد انتهى . وقديعترف العم شاكر بينه وبين نفسه انه قد انتهى ، الا أنه يريد ان يمضي ما تبقى له من أيام في بلدته ، بلدته هو . بين اهله وبين الذين يحبهم ويعتقد انهم استمرار له . ولكن من يعتبرهم استمرارا له ، يعتبرونه من « الافواه اللامجدية » وهنا تكمن اللقطة ، والمفارقة ، وهنا تتكشف قسوة العالم . ذلك العالم الذي لا يعترف ولا يتبنى الا ما هو مجد .

ولكن من المؤسف الا يكون تكنيك القصة على نفس مستوى المحتوى . بل لعل هذا التكنيك قد اثر ـ سلبيا ـ على المستوى فأفقده بعض حرارته وصدقه . ولعل هذا يتجلى ـ أكثر ما يتجلى ـ في اصرار الكاتب على أن يشرح كل شيء ، شرحا مباشرا مستفاضا . فالكاتب مثلا كان في غير حاجة الى القول بأن العم شاكر ـ وهو في طريق العودة ـ راح يغني بصوت متهدج : « على بلد المحبوب ... وأية بلدة أعز عليه من بلدته ... » ان غناء العم شاكر « على بلد المحبوب .. » فيه من الدلالة والعمق ، بحيث ان الامر لا يحتاج الى أي شرح آخر . وأما ان يتساءل الكاتب : « وأية بلدة أعز عليه من بلدته .. » فهذا فضول يقضي على كل الايحاء النفسي الذي حاول ان يبعثه الكاتب في القارىء ، ويقضي على تلك العلاقة الداخلية بين العم شاكر وبلدته . وكذلك حديث العم شاكر مع اختيه . لقد قال لهما في نهاية الاسبوع الاول ، وهم يتناولون الطعام :

ـ بودي ان امضي ههنا ما تبقى لي من أيام لا اظنها كثيرة . فوجمت الاختان .. ثم لم تلبث الصغرى ان قالت وهي تغمز اختها :

ـ آه ! اذن فزيارتك طويلة الامد ..

ـ من يدري فقد لا تكون طويلة ..

ان هذا الحوار القصير قد كشف مواقف الابطال تماما ، ولم يكن الكاتب في حاجة لأن يأتي بالمزيد من الحوار والتعليق كما فعل . ان عبارة الاخت « آه ! اذن فزيارتك طويلة الامد .. » قد قضت تماما على كل اتصال داخلي بين العم شاكر واختيه . فكل اعتقاد العم شاكر ان أهله يتمنون عودته ويتمنون لو يقضي بينهم ما تبقى امامه من الحياة . وهذا الاعتقاد نقطة اساسية في حنين العم شاكر الى بلدته ورغبته في العودة اليها . ولكن عندما فاهت الاخت بعبارتها تبين تماما ان أهله في عالم وهو في عالم آخر . وهذا الاتصال بين العالمين الذي كان يخيل للعم شاكر انه متحقق قد انفصم نهائيا . أما سائر الحوار الذي جاء به الكاتب بعد تلك العبارة ، فقد اذهب حرارة الانطباع والايحاء ، حتى ان القارىء ليحس ببعض الابتذال .

ومن المآخذ الاخرى على تكنيك القصة اضطراب الزمن فيها . فالقصة تبدأ بهذه العبارة التي يخاطب بها العم شاكر نفسه : « ماذا افدت من رحلتك يا شاكر ؟ » . ثم يقوم الكاتب بعملية السرد . وهذا لا مأخذ عليه الى الآن . ولكن نلاحظ فيما بعد ان عملية السرد تتم من خلال ذهن العم شاكر ، وهو في السيارة عائد من حيث أتى . وهكذا نجده يتحدث مع جاره في المقعد عن ابن أخيه غسان ويريه صورته . ولكن الذي نفاجأ به هو ان الكاتب يتدخل هنا ، ويقطع التطور الزمني ليقول : « حين وصلت السيارة .. » . ولكنه لا يقصد السيارة التي يركب فيها العم شاكر . في تلك اللحظة ، بل السيارة التي نقلته منذ أكثر من اسبوع الى مسقط رأسه . فما هو المبرر لهذا الاختلال الزمني ؟ ان هذا الانتقال الزمني المعترض كان يمكن ان يأتي طبيعيا لو قال الكاتب مثلا : « ان العم شاكر يذكر الآن حين وصلت السيارة .. » .

ثم عندما يدور الحديث بين العم شاكر وابن أخيه غسان

حول ذكريات العم شاكر في مسقط رأسه ويعرب العم عن رغبته في البقاء عند اهله ، يقول له ابن أخيه :

ــ اهلا وسهلا .

وهذا لا مأخذ عليه ، ولكن ان يقول الكاتب ان غسان « ذكر توا ما قاله ابوه لأمه : عسى الا تكون زيارته طويلة » فهذا أيضا تدخل خارجي من قبل الكاتب لا علاقة له بعملية السرد التي تتم من خلال ذهن العم شاكر .

ثم انني اتساءل : هل يمكن ان نقبل بفكرة الهجرة الداخلية من المدن الكبيرة الى المدن الصغيرة سعيا وراء الرزق كما فعل العم شاكر ؟ أم ان الامر يجب ان يكون على النقيض من ذلك ؟ ان كل تفاصيل القصة تدل على ان البلدة التي هاجر عليها العم شاكر هي أصغر من مسقط رأسه . وهذا مخالف لقوانين الهجرة الداخلية اجتماعيا .

ولكن مهما كانت مآخذنا على القصة ، فان « العودة » تبقى احدى القصص الانسانية الجيدة ، فيها توتر المأساة ، وفيها التوتر الانساني المطلوب . كما ان الكاتب قد نجح ، تماما ، في المقارنة بين الرحلتين اللتين قام بهما العم شاكر . الرحلة الاولى وهو عائد الى مسقط رأسه فيشاركه ركاب السيارة فرحته ويعجبون لهذا « الشيخ الذي يتجاوز الثمانين كيف يحتفظ بهذه الحيوية وذاك النشاط » . والرحلة الثانية ، وهو راجع ، حيث يقابل حتى من الركاب بجفاء ، ويقول عنه جاره في المقعد : « اف . لقد اتعبني هذا الشيخ الخرف . انه لا يفتأ يهذي ويحدث نفسه ... » .

اما « القصة » الثانية التي أود الحديث عنها فهي « لن أعود معكم أبدا » لالفة عمر الادلبي . ولعله كان يجب الا اتعرض لهذه « القصة » ، فهي ليست افضل اطلاقا من سائر « قصص » العدد الباقية ، والتي لن اتكلم عنها لأنه انما طلب الي ان انقد « قصص العدد الماضي » ، وهذا معناه بكل وضوح انه انما طلب الي ان انقد قصصا .. وقد سبق أن ذكرت أن القصة الموضوعة الوحيدة في العدد الماضي هي قصة جورج سالم . ولكن الفرق بين « لن أعود معكم أبدا » وبين سائر « **قصص العدد** » هو ان كاتبة « لن أعود معكم أبدا » تعتبر قصاصة شامية ، متمرسة في الكتابة ، ولها مجموعة في السوق بتقديم من محمود تيمور ، اما كتاب سائر «القصص» فانما هم ناشئون يخطون خطواتهم الاولى .

فأحمد بن رزوق مغربي يعمل في الجيش الفرنسي تلقى « ذات يوم من أيام سنة **١٩٢٦** نبأ نقل فرقته الى دمشق ». ليحارب الثوار فيها . ولا يستطيع احمد بن رزوق ان يصبر طويلا على فظائع الفرنسيين في بني قوميته فينضم الى الثوار العرب . ذلك هو ملخص القصة ، وواضح أن الهدف منها هو « الوطنية » . ولكن القصة ، كتكنيك ، شيء ، والوطنية شيء آخر ، اولا . كما ان الكاتب عندما يريد التحدث عن الوطنية ، وبالاحرى عندما يريد ان يعطي « امثولة » في الوطنية ــ كما فعلت الكاتبة في هذه «القصة» ــ مسؤول عن أن يقدم فهما صحيحا انسانيا لهذه الوطنية ، ثانيا . ونحن لو نظرنا الى القصة من حيث هي تكنيك لوجدناها فاشلة تماما . ولو نظرنا الى القصة من حيث هي امثولة في الوطنية لوجدناها فاشلة ايضا . ولنبدأ بالتكنيك .

المطلع الاول من « القصة » ناجح الى حد ما لولا بعض التعابير الكلاسيكية التي لا تعني شيئا . فالكاتبة عندما تصف نظرات احمد بن زروق تقول : « اما نظراته فكانت ثاقبة عميقة تدل على رجولة حقة ، وقوة شكيمة ، وصعوبة مراس ... الا تبدو هذه العبارات كليشهات ميتة ، انشائية ، تفتقد الى أية دلالة حية ؟ .

ويصل احمد بن رزوق الى دمشق ولم « يشعر ولو بقليل من الوحشة التي يشعر الغريب بها عندما يؤم بلدا ما لأول مرة ، ويخرج من توه يتجول في الاسواق ويتعرف على معالم المدينة فيدهش بهذا الشبه الذي يلمسه بينها وبين بلده البعيد . كان يتفرس في وجوه الناس فيخيل اليه انه يعرفهم جميعا حتى ليهم أحيانا أن يبادرهم التحية كما كان يبادر سكان حيه ، فالسحن والالوان والقامات لا تختلف أبدا عن سحن ابناء وطنه ولا عن الوانهم وقاماتهم ، توحي نظراتهم بطيب قلوبهم وكرم خلقهم العربي » . والآن انني اتساءل : هل حاولت الكاتبة ان تقدم تحليلا نفسيا لاحمد بن رزوق عند مقدمه الى دمشق لأول مرة في حياته ؟ أم أرادت أن تثبت وجود القومية العربية ، فتقول ان العربي لا يحس بفارق بين مراكش ودمشق ؟ فاذا كان ما ارادته هو الامر الاول ، فهذا غير معقول على الاطلاق ، لأنها لم تتكلم عن احمد بن رزوق بالذات ، كبطل له خصوصيته ، بل عن أحمد بن رزوق كرمز لكل عربي يزور دمشق لأول مرة فلا يحس بفرق بينها وبين بلدته . اذن فهي تقصد الامر الثاني . ولكنني اتساءل : ترى لماذا يحاول بعض الكتاب

باستمرار ان يثبتوا وجود القومية العربية ؟ وهل القومية العربية تحتاج الى اثبات ؟ بل الا يبدو ان في الامر عقدة نقص ؟ ومهما يكن الامر فان التكنيك القصصي قد افلت من يدي الكاتبة لانها لم تتكلم عن أحمد بن رزوق بالذات ، بل أرادت أن تثبت فكرة القومية العربية • ولا أعتقد أن محاولتها هذا الاثبات تبرر خروجها على أصول التكنيك •

وفي الحقيقة ان « القصة » كلهاتتعثرفي الاسلوب الانشائي وتفتقد الى التحليل ، التحليل النفسي الحقيقي ، وأعتقد انني سأضيع وقت القراء لو حاولت ان احلل « القصة » من أولها الى آخرها ، وهي كلها تسير على النمط غير الفني نفسه الذي تحدثت عنه •

ولكنني أجد نفسي مضطرا الى ان اتحدث عن نهاية « القصة » • اذكر ، عندما كنت طالبا في الشهادة الابتدائية ، اننا كنا نكتب مواضيع انشائية • وكان موضوع « صف شهيدا » اكثر المواضيع التي نكتب عنها • واذكر انني كنت اقسم الموضوع الى مقدمة والى موضوع اساسي ، ثم الى خاتمة ، وكنت احاول دائما ان تكون الخاتمة هي اكثرمقاطع الموضوع تأثيرا و « رومانتيكية » كي يكون لموضوعي وقع حسن في نفس المعلم • والآن اقرأوا معي خاتمة « لن أعود معكم أبدا » ، وارجو ان تحكموا معي اذا كنتم تجدون فرقا بينها وبين تلك « الخاتمات » التي تعودتم ان تكتبوها ، عندما كنتم مثلي طلابا ابتدائيين؟ تقول الكاتبة تصف موت«الشهيد» في آخر القصة : « وفي يوم عبوس من أيام الشتاء ، وفيمعركة حامية الوطيس ، وقع ما كان محذورا ، فشربت ارض غوطة دمشق دم احمد المغربي فيما شربت من دماء عربية ذكية في ذلك اليوم المشهود » •

والآن ، هل وجدتم فرقا ؟

هذا من حيث التكنيك • اما من حيث « الامثولة » في الوطنية ، فالامر ادهى ، لأن فشل الكاتبة في التكنيك لايعني أكثر من أن « القصة » فاشلة ، اما ان تقدم امثولة خاطئة عن الوطنية ، فهذا اخطر بكثير •

تقول « القصة » ان احمد بن رزوق تلقى امرا بالتوجه مع فرقته الى الغوطة « لتأديب المعتصمين فيها من اللصوص وقاطعي الطرق • فتملكه وجوم وخوف • كان يعرف تماما ما تعني كلمة لصوص وقاطعي طرق في قاموس الاستعمار • لا شك انها تعني هنا كما تعني هنـاك في بلاده ، الوطنيين الاحرار اصحاب البلاد الثائرين على الظلم والاستعمار » •

فما دام أحمد رزوق يعرف ذلك ، فلماذا رضي بأن يعمل في الجيش الفرنسي ، ويعمل مدة طويلة بحيث انه نال رتبة ملازم أول كما جاء في «القصة» ؟ ألا يعني ذلك بكل وضوح انه كان خائنا ، بل وكان يعرف انه خائن ؟

ثم تتابع « القصة » : « لقد سبق له ان حارب كثيرا مع الفرنسيين اقواما لا يعنيه من امرها شيء • كان يحارب بلا غاية أو هدف » • اما الآن فالامر مختلف • « وكيف يستطيع أن يحارب اخوته وابناء قومه ؟ » • ولهذا ينتهي الامر به الى التمرد • وهنا يحق لنا ان نتساءل : الا يتمرد العربي الا عندما يجبر على محاربة قومه ؟ وهل يمكن أن نعتبر تمرده هذا وطنيا ، بله انسانيا ، وهو يرضى بأن يقف الى جانب المستعمرين ضد شعوب مضطهدة اخرى ؟ أليس القومي العربي الحقيقي هو الذي يتمرد من أجل قومه كما يتمرد من أجل الآخرين ؟

واكثر من ذلك ، ان كل مافي القصة يدل على ان أحمد ابن رزوق هو بورجوازي صميم ، او هكذا صورته الكاتبة • وتتجلى هذه البورجوازية تماما في « تمرد » أحمد بن رزوق انه يقول لنفسه عندما يقرر ان « يتمرد » ان اسمه ربما « دخل سجل التاريخ ، واصبح بطلا يقتدى به ، وامثولة طيبة يحتذى بها » • هكذا البورجوازي أبدا عندما يقرر ان يصبح « وطنيا » • انه يعتقد ان « وطنيته » هذه ستصبح امثولة تحتذى ، وكأنها الجماهير المكافحة الحقيقية بحاجة الى هذه الامثولة ؟

والبورجوازي أبدا اعتاد ان ينظر الى الامور من وجهة نظر الفائدة • فهو في « القصة » يؤجل « تمرده » لأنه رأى ان من « الخير له ولاخوانه عرب الشام الا يعدم ، ويذهب دمه هدرا رخيصا بلا جدوى ؟ » •

والبورجوازي أبدا ، حتى عندما يريد ان يصبح «وطنيا» يعتقد انه أهم من سائر المناضلين وان حياته اثمن منحياتهم فهو في القصة يؤجل « تمرده » مرة أخرى ، لأنه رأى ان حياته اثمن من ان يضحي بها بقتله قائدا فرنسيا •ويقول لنفسه : « لا ! لن أموت من أجل واحد مهما كان كبيرا »• ان البورجوازي يعتقد أنه عندما يشترك في نضال فكأن الدنيا كلها تنظر اليه • انه لا يستطيع ان يكون شهيدا على طريقة

الجندي المجهول . انه يريد ان يثبت « تفوقه » حتى وهو يناضل . انه لن يرضى بأن يموت « من أجل واحد مهما كان كبيرا » .

ولننتقل الآن الى « قصة » عادل سلوم « أنا والعدم والقلب الصغير » . لقد سبق ان قلت ان هذه « القصة » لا علاقة لها اطلاقا بالفن القصصي ، وانني لن اتعرض اليها الا باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ظاهرة ضياع **جيل كامل من** الذين يريدون ان يكونوا ادباء في ضجيج الالفاظ الكبيرة .

هذا الجيل لم يقرأ من الثقافة الاجنبية الا عناوين الكتب « الغثيان » و « الكينونة والعدم » و « اللامنتمي » ، وظن انه يبدع عندما يملأ الصفحات بامثال هذه العناوين .

« انا .. والعدم .. والقلب الصغير » .. هذا هو العنوان فقط . ثم تبدأ « القصة » بهذا المطلع « كان الوقت مساء .. عندما بصقتني بوابة السينما .. » بصقته بوابة السينما ! ثم انه يحس « بمرارة مقرفة » ! ثم شعر « برغبة في البصاق » عندما شاهد وجها يعرفه ! ثم هرب منه « قبل ان اتقيأ واقذف كل مافي معدتي » ! ثم « بصقت على الارض » ، على الناس ! و « اوساخ الارض » ، و « التفاهة » و ... و ... وكل الالفاظ التي يضمها القاموس في مادة « بصق » !

يا سيدي الكاتب ! ان تكن تحس بقرف من العالم ، فهذا لا يعني ان الناس يجب أن يحسوا بقرف من « الادب » ! وهل تعتقد أن هذا ما قصده سارتر عندما كتب « الغثيان » !

ثم هل صحيح ، في الاصل ، ان بطل « القصة » يحس بقرف حقيقي من العالم والناس ؟ أليست الحقيقة ان الشهوة والشهوة الجنسية التي لم تشبع ، هي التي تمزق اعصاب البطل . تدفعه الى الذهاب ، لمقابلة « سلمى » التي باعت انسانيتها لتتزوج « صاحب الصلعة اللماعة .. والكرش البارز .. وصناديق المال » ؟ فكيف يبصق الانسان باستمرار على العالم والناس ، والمرأة من العالم والناس ، وهو يتأرم ، بل ويتلمظ شوقا الى جسد امرأة ؟

نحن لا نناقش في الشهوة الجنسية فهي حق لكل انسان ، اما ان يكذب الانسان على نفسه ويقول انه « قرفان » من كل شيء ، فهذا مالا نستطيع ان نقبله . ان ما لانستطيع ان نقبله هو ان يقول الانسان عن نفسه ، وهو يتأرم لوعة الى جسد امرأة : « انني ابحث عن شيء لا ارى له خيالا واضحا في عالمنا هذا .. » . لا يا سيدي . ان بطل «قصتك» يبحث عن شيء من صميم هذه الارض ، يبحث عن شيء لا يمكن ان يوجد الا في ارضنا هذه وعالمنا هذا !

ثم لماذا يبحث بطل « قصتك » عن الفاظ كبيرة يضيع فيها نفسه ، كي لا يعترف بما يريد حقا . هل هو حقا من « ابناء الجيل المهزوم .. من ابناء الجيل الضائع » ؟

انت تقول « لقد هزمتنا الآلة .. » . أية آلة يا سيدي ؟ ان ما هزمنا هو عدم وجود الآلة بالذات يا سيدي .

أنت تقول « ان كل ما نقوم به اليوم في مضمار الادب .. او الفلسفة .. او الفن .. وكل ما نحاول ادخاله من تجديد على العلم .. ليس الا خوفا ناجما عن ادراك عميق .. عميق .. بأننا نفقد انسانيتنا .. ونفقد لوننا البشري .. » . لا يا سيدي اننا ـ نحن العرب ـ انما فقدنا ـ ولا اقول نفقد ـ انسانيتنا ولوننا البشري لأننا لم نعد نقوم بشيء في مضمار الادب او الفن ، ولأننا طلقنا العلم نهائيا .

تقول اننا نزيف مأساتنا ونحاول ان نهرب منها الى العلم والادب والفن . الا تعتقد يا سيدي انك تزيف مأساتنا وحياتنا بالذات ، لأن مأساتنا ، يا سيدي ، هي قبل شيء ، مأساة العلم والادب اللذين ماتا في مجتمعنا ؟ وكل نضالنا اليوم انما يقوم على اعادة بعثهما من جديد .

ثم ماذا يهمك من أن يكون الانسان يزيف مأساته وأنت تعترف انك « دست على مبادىء الحياة منذ امد بعيد » ؟ وما دمت قد دست على مبادىء الحياة فلماذا أنت عفوا اقصد بطل قصتك ـ حانق على سلمى التي باعت نفسها لرجل غني ؟

تقول انك جلست على قارعة الشارع وخلعت حذائك أمام الناس ، لتثبت لنفسك انك حر . هل تأكدت من أنك حر ؟ تهاني اليك اذن !

وما دمت يا سيدي قرفا من العالم ، فلماذا تغضب لأن فتياتنا « يندفعن الى مطالعة مجلات الازياء وتقليد الفتيات الغربيات .. وممثلات السينما .. أكثر من اهتمامهن بقضايانا الوطنية .. وتكالب الاستعمار على بلادنا .. » ؟

عندي نصيحة اليك يا سيدي . وأنا اقول ذلك على الرغم مني لأنني لا أؤمن بالنصائح ، واعتقد ان الانسان حر في حياته يفعل بها ما يشاء . ومع ذلك فاليك هذه النصيحة .

البقية على الصفحة (٦١)

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الغاشي

• أقام المركز العام لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ندوة موضوعها « من مظاهر الوعي الثوري في الشعب » اشترك فيها الاساتذة : محمد فؤاد جلال ، ومحمد سعيد قدري ، وعلي الجمبلاطي ، واللواء أمين أنور الشريف ، ومحمد صبيح ، والشاعر اللبناني رفيق وهبي ..

• في مطلع هذا الشهر تصدر للقصاص عبد المنعم الصاوي أول مجموعة قصصية له .

• « عندما تشرق الشمس » رواية على وشك الانتهاء للاديب ثروة اباظة الذي فاز بجائزة الدولة هذا العام .

• الناشرون في القاهرة وبيروت يتهافتون على ديوان الشاعرة عزيزة هارون ، وهي حائرة : أي دار للنشر ستختار .

• قصة امين يوسف غراب « روايع » دخلت السينما.. من المنتظر أن تكون روايع هي نعيمة عاكف ..

• فقيد الادب المرحوم كامل كيلاني سيقام له حفلة تأبين في القريب العاجل .. بدأت الاتصالات لاقامة هذا الحفل .

• الكاتب الانكليزي « ديزموند ستيوارث » وصل القاهرة منذ أيام فقد وعد بكتابة قصة « غريب في عدن » لمؤسسة دعم السينما .. حوادث القصة تدور في الفرات .

• أربعة من كتاب الاقليم الجنوبي العلماء .. يزورون الاقليم الشمالي الآن وهم : مهدي علام ، عبد القادر القط ، محمد سعيد العريان ، خالد محمد خالد .

• الكاتبة اللبنانية هند سلامة صاحبة كتاب صرخة حواء منهمكة هذه الايام بتأليف كتاب جديد بعنوان « الوان » وهو عبارة عن سلسلة قصص قصيرة ..

• والكاتبة اللبنانية المعروفة ليلى بعلبكي صاحبة كتاب « أنا أحيا » محتجبة عن اصدقائها .. وقد تبين أنها تكتب قصة جديدة من نوع جديد حسب تعبيرها . وقالت : ان هذه القصة سوف تحوز على اعجاب جميع قرائها .

بقي ان نقول : ان ليلى لا تؤمن بكلمات فرنسوا ساغان الكاتبة الفرنسية ، لسبب واحد .. هو أن فرنسوا اباحية بالنسبة للمجتمع الباريسي .. وليلى متحفظة بالنسبة للمجتمع الشرقي .

• هرب الناس في اليوم الاول لمهرجان الشاعر الكبير خليل مطران ، لأن أحد الخطباء وهو الاستاذ طاهر الطناحي رئيس تحرير مجلة الهلال ، فاضت قريحته فجأة ، فتكلم مايقرب من الساعة والاربعين دقيقة دفعة واحدة ولذلك هرب الجمهور .

أما في اليوم التالي ، فقد أتى الناس ليستمعوا الى الشاعرة عزيزة هارون التي القت قصيدة مؤلفة من ٧٠ بيتا واستغرق القاؤها مدة ١٥ دقيقة فقط .. وقد صفق الناس للقصيدة ولصاحبة القصيدة وعلى الرغم من اشتراك الشاعرة عزيزة هارون والشاعرة طلعت الرفاعي فقد فشل المهرجان .

• يحتفل الموسم الثقافي في الاقليم الجنوبي هذا العام بمجموعات قصصية لنخبة من الادباء الشباب . منهم : عبد النور خليل ، وفاروق منيب ، وعبد الرحمن فهمي ، وفاروق خورشيد ، وصالح مرسي ، وصبري موسى ، وعبد الله الطوخي ، وسليمان فياض ، ولهؤلاء جميعا محاولات ناجحة ولكن مامن ريب أن أودع تلك القصص هي القصص التي كتبها الكاتب اللبناني الاصل سليمان فياض .. وقد نشر أخيرا قصة بعنوان « لماذا لا يلد الرجال » كانت رائعة جدا .

ومع أن كثيرا من الادباء الكبار يوالون كتابة التأييدات المتوالية لقضية الادباء الشباب .. الا أنه مجرد كلام في

الهواء ولابد من القول أن هؤلاء الكتاب هم الوجه الحقيقي للقصة في الاقليم الجنوبي .

• هذه الكتب صدرت حديثا باللغة العربية منها موضوع ومنها مترجم وهي « بين الدين والعلم » من سلسلة الثقافة الاسلامية تأليف الدكتور الغمراوي .

« الحكم المحلي » تأليف ماهر نسيم .

« أضواء على سياسة الهند » صدر عن مكتبة الانجلو المصرية باشراف أمين شاكر وعثمان نويه .

« أما قصيص من الهند » تحوي على ٢٠ قصة و ٢٠ لوحة ترجمة خليل جرجس خليل .

• الدكتورة طلعت الرفاعي شاعرة دمشق التي اشتركت في حفل تأبين الشاعر هاشم الرفاعي بجامعة القاهرة ، تكتب الآن ملحمة شعرية عن حياة الشاعر ودوره الوطني

وبهذه المناسبة ليس بين الشاعرة والشاعر صلة قرابة برغم تشابه الاسمين .

• الشاعر الكبير كمال فوزي الشرابي سيعود الى كتابة الشعر ، بعد صمت طويل دام خمس سنوات .. وقد قال اصدقاء الشاعر .. أن القصائد الجديدة التي يكتبها ستحدث ضجة في ميدان الشعر .. والحقيقة ان الشاعر فوزي يملك كافة الامكانيات لأن يكون في طليعة شعراء الاقليم السوري.

• الأديب المعروف واستاذ علم النفس في جامعة دمشق انطون حمصي يستعد الآن للسفر الى أوروبا .. سيعود الاستاذ حمصي .. بلقب دكتور في علم النفس .

• القاص وليد مدفعي سيعتلي خشبة المسرح مرةثانية ، بعد أن أثبت عن براعة في التمثيل في مسرحية عنانمسروقتان .. المسرحية الجديدة التي سيمثل دور البطولة فيها هي « ابنائي جميعا » للكاتب الاميركي المعروف أرثر ميلر .. التي ستقدمها جمعية العهد الجديد على مسرح سينماالحمراء أو القاهرة .

ومن المعروف ان هذه الجمعية تضم بين صفوفها نخبة من كبار الادباء والفنانين .

• صدر حديثا كتاب « رأيت » للاديب اللبناني الياس ربابي ، وهو مجموعة من القطع الادبية .

• « من لغو الصيف » هو الكتاب التي اصدرته دارالعلم للملايين ببيروت للاديب الكبير الدكتور طه حسين .

• تصدر قريبا للاستاذ موريس صقر رئيس تحرير الصحافة اللبنانية قصة بعنوان « ساعة الصفر » كما انه يعد العدة بتحضير دراسة من التجربة الاشتراكية في يوغسلافيا.

• انقطعت اجتماعات « حلقة الثريا » التي كان يقيمها أدباء لبنان .

• انجز الاديب اللبناني فؤاد كنعان ترجة « ايجيني غرونديه » .

• انجز القاص وليد مدفعي استعداداته لاصدار مجموعته القصصية الاولى وهي بعنوان « الساعة لاتدق في بور سعيد » وتشمل المجموعة على اثني عشر قصة ودراسة بعنوان « مقاييس القصة القصيرة » بقلم المؤلف نفسه .

• قدم جان الكسان روايته « أعواد البنفسج » الى وزارة الثقافة والارشاد كي تقرر قيمة الاعانة التي ستقدمها لطبع تلك الرواية .

• « الهاوية » هي عنوان المسرحية التي كتبها الناقد والفنان اللبناني صلاح كامل .

علق الدكتور كمال الحاج على هذه المسرحية قائلا : انها بمستوى مسرحيات سارتر لانها تعالج بمنتهى البراعة مشكلة فلسفية كبرى .

• انذر الاتحاد المزيف للادباء في العراق الدكتور علي الزبيدي بالفصل .. كان الدكتور الزبيدي قد كشف ذلك الاتحاد المزيف في بيان وزعه على الصحف .

• « وحل في جبين الشمس » عنوان المجموعة القصصية التي صدرت عن دار عويدات ببيروت للقاص اللبناني المجدد سمير تنير .. قدم المجموعة بدراسة الناقد السوري محيي الدين صبحي كما رسم لوحة الغلاف الفنان اللبناني المعروف رشيد وهبه .

• ستنشر دار « هايمان »في لندن رواية الكاتب الفلسطيني الاصل جبرا ابراهيم جبرا والذي يدرس الادب الانكليزي في جامعة بغداد الآن .. التي تحمل عنوان « صيادون في شارع ضيق » .

ولجبرا في السوق مجموعة قصص بعنوان « عرق » ورواية بعنوان « صراخ في ليل طويل » كما له عدة كتب مترجمة وكتب باللغة الانكليزية .

• سئلت نازك الملائكة الشاعرة العراقية الموجودة حاليا

في بيروت عن روايتي الدكتور سهيل ادريس فقالت : ان رواية الخندق الغميق هي أروع من زواية « الحي اللاتيني »

• « من أيام العار » عنوان الرواية التي كانت قد نشرت للاديب القاص انطون حمصي في جريدة الرأي العام المحتجبة بالتسلسل وكان عنوانها آنذاك « مذكرات جندي فرنسي في حملة بور سعيد » ستصدر عما قريب عن دار للنشر .

• أقام المركز الثقافي العربي بحمص ندوة أدبية نوقشت خلالها رواية الشاعرة كوليت سهيل الخوري « أيام معه » وقد حضرت الكاتبة كوليت الندوة واشترك فيها الشاعر الكبير كمال فوزي الشرابي ، محمد روحي فيصل ، علي بدور ، نديم عدلي ، عدنان الداعوق ، مختار أبو العطا ، احمد كرومة ، اميمة الجندي ، محي الدين الدرويش وغيرهم .

• بدأ الاديب الحمصي عدنان الداعوق بنشر رواية متسلسلة بمجلة الاحد اللبنانية ، وهي تحكي قصة الوحدة بين اقليمي الجمهورية العربية المتحدة .

• صدر للكاتب اللبناني : أنيس صايغ كتاب بعنوان « الفكرة العربية في مصر » وفيه يروي المؤلف تطور الفكرة العربية في الاقليم المصري منذ كانت دعوة يتيمه لاتجد من يناصرها في وجه الاقليمية الفرعونية والجامعة الاسلامية الى أن أصبحت عقيدة الاقليم الجنوبي الرسمية واطار كيانه

• صدر للاديب السعودي عبد الله بن خميس عن مطابع الرياض كتاب بعنوان : الادب الشعبي في جزيرة العرب .

• « من تاريخنا » هو عنوان الكتاب الذي صدر للاديب الاردني محمود العابدي .

ويضم الكتاب ٢٠ مقالة نشرها المؤلف وكتبها في مدى خمسة عشر عاما من **١٩٣٢** حتى **١٩٤٧**

• « أسرار ماوراء الستار » هو عنوان الدراسة التي صدر للكاتب اللبناني محمد جميل بيهم .. وهي تتناول الشؤون العربية والاسلامية في كل من الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية بحياد تام .

• « أبو مسلم الخراساني » كتاب صدر عن دار المعارف بالاقليم الجنوبي للاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وهو يتناول بطريقة قصصية حياة الرجل وقيام الدولة العباسية .. ثم وضعه موضع الاتهام فمصرعه ..

• اثناء وجود الشاعر الكبير كمال فوزي الشرابي في المركز الثقافي العربي بحمص وبعد مناقشة رواية كوليت سهيل الخوري ، طلب منه ان يلقي بعض قصائده العاطفية .. ولبى الشاعر رغبة الحضور فألقى قصيدتين رائعتين الاولى بعنوان « ضيعتي .. فأضعت نفسك .. » والثانية « شكرا .. لأنك جئت .. » وقد ترك أثرا جميلا في النفوس ..

• أقامت جمعية الادباء العرب في منتصف الشهر الماضي أمسية قصصية اشترك فيها كل من الدكتور بديع حقي ، زكريا تامر ، جان الكسان .. وقد حل جان الكسان بدل مطاع صفدي لاعتذار الاخير عن حضور الامسية وكان الحضور لا بأس بهم .. اشترك في مناقشة القصص : ابن ذربل والقاص عبد العزيز هلال .. فقد هاجم عبد العزيز هلال ابن ذريل هجوما قاسيا بعد أن تمادى المذكور في هجومه على قصتي تامر والكسان .. وقد علق بعض الموجودين على قصة الدكتور حقي بأنه متأثر باللفظى الشعري مما جعله ان يخرج كثيرا عن موضوع القصة ليصف بعض الاشياء وصفا مشاعريا ولعل ابرز القصص في تلك الامسية هي قصة زكريا تامر : الاغنية الزرقاء الخشنة .

ملف المفقودين في الجزائر

« في ١٠ آب الماضي هبط مدينة الجزائر المحاميان الفرنسيان : الاستاذ فرجيس والاستاذ زافاريان (الاول دافع في عدة قضايا عن ثوار جزائريين وبخاصة عن « جميلة بوحيرد ») وأخذا يستقبلان عددا من الجزائريات اللواتي حضرن اليهما للتصريح عن فقد أب أو ابن أو زوج . وكانا يسجلان هذه التصاريح . في اليوم التالي بلغ عدد الزائرات عشرة ثم ثلاثين . في اليوم الثالث ازدحم في بهو الفندق مئة امرأة جئن لتسجيل شكاواهن . وفي ١٤ آب ، أبلغ الاستاذ فرجيس ، الذي كان حاصلا على اجازة اقامة قانونية ، انه مطرود من الجزائر بأمر من السلطة العسكرية لاخلاله بالامن العام . وبقي الاستاذ « زافاريان » وحده يتابع تسجيل الشكاوي الجديدة ومراجعة السلطات بشأنها الى يوم سفره .

وقد قرر المحاميان نقل الملف الرهيب الذي تجمع لديهما الى الصليب الاحمر الدولي .

وبعد هذه المقدمة نشرت مجلة « الازمنة الحديثة » الباريسية ، هذا الملف بكامله • وهو يتضمن جميع ماجاء في تصاريح الامهات ، والاخوات والزوجات ، من عرائض قدمتها الى السلطات الفرنسية في الجزائر للمطالبة بازواجهن وآبائهن واخواتهن الذي اعتقلوا في أي دقيقة من النهار أو الليل ، بدون أي مذكرة توقيف ودون أن يعلم فيما بعد عن مصيرهم شيئا • وكان ينفذ عمليات الاختطاف جنود فرنسيون مجهولو الهوية لا يمكن بالتالي معرفتهم • وهذه العرائض جميعا بقيت بغير نتيجة وفي غالب الاحيان بغير جواب •

وتضيف المجلة « ان هذا الاستعراض الفاجع للمواطنات الجزائريات ، هذا القلق الدائم في كل لحظة الذي يضيع في بحر من الصمت ، هذا هو وجود فرنسا في الجزائر ، وهذا ما يجب أن يعلمه جميع الفرنسيين » •

ويتضمن كتاب المحامين الى هيأة الصليب الاحمر الدولي المقاطع التالية :

« في بعض الاحيان سجلت المرأة انها لمحت زوجها يمر بوجه منتفخ وراء نافذة أو انها رأت ابنها واقفا من بعيد ، يخفي ذراعه المحروقة أو انها رأت اباها يصعد السلم وهو يعرج •••• وبعدئذ فجأة يختفي • وعندما تأتي للسؤال عنه ، يطردها الجنود بكلمات قذرة • ومنذ ذلك الحين تظل تعيش في القلق الدائم »

والمقطع الآخر : « في بلاد أخرى وفي ظروف أخرى ، كانت العدالة قد تجيب على اسئلة المشتركين وتداوي آلامهم أما في مدينة الجزائر ، يقول لنا عقيد انه يجهل ما يجري في سكنته نفسها • ويجيب عسكري آخر انه يحدث ان تفقد بطاقة السجين تماما ويجهل ضابط آخر – أو يتجاهل – من الجنود كان في ساعة معينة من مكان معين من امكنة العمل الرسمي • ومن الضباط من يستطيع ان يؤكد ان فلانا لم يعتقل بينما مدير المعتقل يؤكد انه اعتقل ••• الخ ••

وتذكر رسالة المحامين ان البوليس الفرنسي كان مع جميع الزائرات اللواتي تجرأن على زيارتهما في الفندق • وانه سجل هوياتهن • كما انه انتهى الى منع المحامي « زافاريان » من متابعة التحقيق عن المفقودين مع السلطات الفرنسية ، وانهاء اقامته هو الآخر في الجزائر •

ويتبع رسالة المحامين سجل طويل مرير ، يذكر الاسماء والهويات والوقائع ويبين أين توقفت المراجعة في كل حالة من هذه الحالات المفجعة ، وكثيرا ما كانت تتوقف عند العريضة الاولى لاستحالة متابعة البحث والتحري وكثير من هذه العرائض مكتوبة بلغة فرنسية ابتدائية تكاد لا تكون مفهومة مما يزيد في الانطباع اليأس لهذه المحاولات • أما اجوبة السلطات فتأتي غالبا متجاهلة الامر منكرة حدوثه أو انها تتناقض فيما بينها تماما •

ان هذا السجل الطويل من الضحايا يضاف الى ضحايا المحاربين الجزائريين الذين يتابعون رغم كل شيء معركتهم الباسلة البطلة مع الاستعمار الفرنسي الوحشي •

النشاط الثقافي في الغرب

القاضي

اخبار ثقافية من العالم

★ في احصاء رسمي دقيق ، أجراه معهد جالوب في جميع أنحاء العالم بما فيه الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية ثبت بالارقام أن أحب الاوبرات الى الناس هي « كارمن » و « عايدة » ثم تليهما في الترتيب « البوهيمية » .

★ « فلاديمير نابوكوف » مؤلف القصة الجنسية المشهورة « لوليتا » التي أحدثت في عالم الادب ثورة . والتي حاربها الكثيرون وناصرها الكثيرون ، هذا الكاتب اتضح أنه مؤلف فاشل ، فقد ألف قبل هذه الرواية ، قصتان ، لم يلتفت اليهما أحد . وقد نشر نابوكوف ، قصة قصيرة في مجلة «انكاونتر» الانكليزية ، فكانت من أسوأ ما نشرته تلك المجلة طوال حياتها من قصص .

وآخر كتب هذا الكاتب هو كتاب « في العالم الواسع » وقد وصفته مجلة « نيوزويك » بأنه رديء ..

★ يهتم أدباء أميركا بنشر مؤلفات المفكر الفرنسي جان جاك روسو .. والذي يدفع هؤلاء الى الاهتمام بهذا المفكر هو أن أفكاره وتأملاته واحساساته ليست غريبة عن انسان القرن العشرين . فهي تدور حول الاحساس بالقلق والوحدة وظلم الانسان لاخيه الانسان .

★ صدرت هذا الاسبوع الطبعة الفرنسية من كتاب : « أعوام سخيفة من حياتي » للكاتب الامريكي مارك توين . وفي هذا الكتاب يحكي لنا مغامراته في داخل الولايات المتحدة الامريكية .. ثم هو يسخر من الناس ويسخر من نفسه كذلك .

★ وصلت الى باريس في الاسبوع الفائت الكاتبة « بيرل بك » الحائزة على جائزة نوبل في الادب عام ١٩٣٨ والمعروف أنها أمضت جزءا كبيرا من حياتها في الصين ثم أفرغته في قصة بعنوان « الارض الطيبة » .

★ صدر حديثا كتاب باللغة الفرنسية بعنوان (من أجل فلسفة (التاريخ) للمفكر الفرنسي جاك ماريتان . ويعلن المؤلف أن الحتمية التاريخية وهم وخرافة .. فلانسان هو صانع التاريخ .

★ تحت الطبع الآن في روسيا قصة « دكتور زيفاجو » للكاتب العظيم بوريس باسترناك ، تصدر بعد حذف ما يقرب من أربعمائة كلمة .

انباء ادبية من باريس

★ أصدر الزعيم الاشتراكي المعروف « بيترونيني » كتابا عن الحرب الاسبانية الاهلية (عام ١٩٣٦) بعنوان « حرب اسبانيا » . وصدرت ترجمة فرنسية عنه في مجموعة « الدفاتر الحرة » في باريس . ويروي المؤلف ذكرياته عن تلك الحرب . اذ أنه كان مفوضا عاما للفرقة الدولية التي اشتركت فيها . كما ضمنه آراء وبحوثا قيمة عن مختلف القضايا الدولية الحاضرة . والكتاب من أجود ما كتب عن تلك الحرب . والسيد نيني هو من الاشتراكيين القلائل في العالم الذين حافظوا على جدارتهم وجدارة حزبهم بهذا الاسم كما هو معروف .

★ صدر في هذا الشهر كتاب « جان بول سارتر » الجديد

←

« نقد العقل الديالكتيكي » . وهو من أهم المنتجات الفلسفية في فترة مابعد الحرب. كما أنه من أهم كتب المؤلف وأعمقها. ويتضمن الكتاب محاولة لتوضيح آخر تطورات الفلسفة بوجه عام . ويتعرض بخاصة الى الماركسية والمكانة التي تحتلها بعد فلسفة نوربإخ والفلسفات الوجودية . ويبرز الكتاب حاجة الماركسية الى التطور والتكامل في النمو وذلك بتمثلها مختلف العلوم والفلسفات التي ظهرت مؤخرا وبخاصة مكتسبات علم الاجتماع الامريكي ، وعلم « التحليل النفساني » الذي ابتدعه فرويد » .

ويعد سارتر حاليا دراسة عن « التنتوريه » الرسام الطلياني القديم . كما باشرت مسارح باريس تمثيل روايته الاخيرة « محجورو ألتونيا » منذ فترة وجيزة .

* صدر كتاب « صحة الشعراء » عن الشاعر الفرنسي « انتونين أرتو » وقد اشترك في تأليفه « أندريه بروتون » زعيم الحركة الادبية السريالية فيما بين الحربين ، وأندريه ماسون ، الرسام السريالي ، وجان لوي بارو، الممثل المسرحي المعروف . وشقيقة الشاعر « أرتو » . والكتاب يبين قيمة الشاعر ويزيل مختلف الاخطاء والاساطير التي حيكت حول شخصه وشعره .

ـ العدد الماضي في الميزان ـ

بقية مانشر على الصفحة (٤٩)

لا تتحدث يا سيدي عن « الملل .. والسأم .. والوحشة» لا تقول انك « من ابناء الجيل الضائع .. الجيل المهزوم.. من اوساخ الارض .. » ولا تخلع حذاءك امام الناس . ودع فمك بعيدا عن البصاق . ولا ترفض جسد امرأة عندما تعرضه عليك ، كما عرضته عليك سلمى (بيني وبينك : هل حقا فعلت ذلك ؟) . وبشكل خاص لا تتعال على نفسك، ولا تحاول ان تنكر انك كسائر بني البشر تشتهي المرأة . ولا تقل ان مأساتنا هي العلم ، مع ان مأساتنا هي اللاعلم . وابتعد عن الالفاظ الكبيرة وعناوين الكتب . لا تتحدث ، بل لا تكتب عن العدم ، انما حاول ان تقرأ عن العدم . حاول ان تقرأ عن أكثر من العنوان . وباختصار عد الى نفسك ولا تهرب من حقيقتك وحقيقة مجتمعك . وعندها..

وعندها تجد ان الحياة تستحق ان تعاش . وعندما تجد ان هناك دائما امرأة ما على استعداد لأن تهبك قلبها وجسدها.

وبعد ، وقبل ان انهي هذه الكلمة ، أجد انه من الواجب علي ان اذكر ان في « ذكريات قاسية احيانا » و « طير النيل » بعض البذور الطيبة . فهلا نتوقع شيئا أفضل !

جورج طرابيشي